

هل الثقافة خطر وهل في وسع الأريب أن يستفي

شروط الإنتاج الأدبي ؟ وهل ينتفع الأدب من تغذيته بالثقافة والعلم ؟ وهل الاعتناء بالنظريات العلمية يعطل ملكات الإبداع والخلق ؟ وهل في وسع الأديب المعاصر الموهوب أن يستغني عن العلم ويطرحه جانباً ويعتمد على مواهبه فقط ؟

إن الأدب كسائر الفنون ينبع من الغريزة قبل العقل ، وهو شعور قوي بالحياة أكثر منه معرفة عاقلة بها ، وقد يكون الأديب على جهل تام بعلم الظواهر الطبيعية وأسبابها التي يعرفها العالم . ثم يكون في مقدوره أن يحس بتلك الظواهر احساساً عميقاً ويرسم لنا صورة صادقة .

والحقيقة إن الأديب الكبير يؤدي ما قد خفي عنا من صور والوان الظواهر الطبيعية المحيطة بنا . والعالم يجمع ملاحظاته الخاصة وملاحظات الأديب وصوره المتعلقة بتلك الظواهر ثم يرتبها وينظمها ويحددها ويستخلص منها نظريات عامة تهدي الفكر والفيلسوف في دراستهما الحياة والإنسان .

والعلوم التجريبية كما نعرفها اليوم ولا سيما في ميدان السيكلوجيا لم تكن قد اكتشفت بعد في عهد « الملكة اليبابا » ، ولكن هذا لم يمنع شكسبير — وهو مثال الأديب الموهوب — أن يحلل في رواية « عطيل » أعراض الغيرة الشهوية ، وفي رواية « هملت » أعراض السوداء الحالة الحزينة الناجمة عن الانحلال العصبي ، وفي رواية « مكبث » ما يصيب المجرم من هلع وتبكت يدفعان به لمراكمة الجرائم بعضها فوق بعض رغبة في المقاومة والتماسا للشجاعة وتخلصا من صوت الضمير ...

هذه الأعراض أو الظواهر الطبيعية التي صورها شكسبير تصويراً حياً عماده الإحساس القوي والنظرة الصادقة إلى الحياة ، اعترف العلم الحديث بصحتها وأن من يطالع كتاب المؤرخ الفرنسي « هيولييت ثاين » عن الأدب الإنجليزي ، وكتاب العلامة « آرنست دوبريه » عن عصر شكسبير ، يرى أن الرجلين يحاولان تفسير تحليل شكسبير وملاحظاته تفسيراً علمياً ،

يفرق الغربيون بين الأدب والعلم ، فالأدب عندهم دراسة الحياة عن طريق الإحساس بها والتفكير المجرد فيها . والعلم دراسة الحياة عن طريق التجارب العلمية المطبقة على الواقع المحسوس ، فكل مظهر للإحساس والتفكير المجرد يعتبر أدباً . وعلى هذا فالتشعر والقصة والنقد والبحوث الاجتماعية والتاريخية والفلسفة تسمى أدباً . وبحث الظواهر المادية على أساس الملاحظة والتجربة والاستقراء يسمى علماً .

ولقد كان الأدب الأوروبي فيما مضى لا يحفل بالعلم وابعائه ونتائجه ، وكان الأديب ينظر إلى الطبيعة فيستلج جمالها الظاهري وهو لا يدري من سر هذا الجلال شيئاً ، وكان ينظر في النفس البشرية ، وخفاياها ومعضلاتها نظرة الملاحظ الذي لا يستند إلى أي كشف علمي ، والذي لا يهتدي إلا بخياله ونصوره فقط . فلما تقدمت الحركة العلمية في القرن التاسع عشر ، وازدهرت العلوم الطبيعية ، احس الأدباء والأهنياء القصصيون ، أن من واجبهم الانتفاع بهذه الحقائق الجديدة التي كشف عنها العلم ، فأخذوا يطالعون آخر ما اهتدى إليه العلماء في مختلف مناحي الحياة ويسترشدون به في وضع القصص على نحو ما فعل جوستاف غلوبر وإميل زولا ، وبول بورجيه وأمثالهم . ومنذ ذلك الوقت وسلطان العلم يحتل أذهان أدباء أوروبا ، والثقافة العلمية تسيطر على معظم انتاجهم الأدبي .

فالمعلية العلمية والمكتشفات العلمية لمحاولة الأثر في الفن القصصي الحديث والنقد الأدبي وحتى في الشعر . بل أن اهتمام أدباء أوروبا بدراسة الحركات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية يرجع في الأصل إلى تأثر الأدب في القرن الماضي بروح العلم وطرائقه التي سرعان ما شملت فروع الثقافة جميعاً ، وأرغبت الأدباء على التحرر من ريفات الخيال المطلق وعلى التطلع إلى كل ما هو واقع محسوس .

ولكن المشكل الذي أريد أن أعرض له في هذا المقال هو : هل أصبحت الثقافة العلمية شرطاً لازماً من

على الأديب ؟ عن العلم

بقلم : هداية سلطان الساف

يجب الا يأخذ من هذه الثقافة بقسط ؟ وان الموهبة الفطرية وحدها كافية لإبداع العمل الأدبي العظيم ؟! كلا .. وانما هناك غرام بالثقافة الواسعة ، وهناك عبودية للعلم !

هناك اديب عبقرى ، واديب متوسط او عادي . الاول يقبل على الثقافة ايا كان لونها ، علمية كانت او اجتماعية او سياسية ، ينتفع بها غلته ويطفي شهوة المعرفة المستحوذة عليه ، ولا يخشى العلم ولا يستعبد له ، ولا يقيم منه الادبي على نظرياته ، وان فعل ثبح الاحتفاظ بشخصيته وامساقه الجديد الى ما اهتدى اليه العلم .

والعبري انسان كامل الحرية بعيد مرمى النظر ، كبير الثقة بالنفس ، يتصل بالطبيعة الكبرى اكثر مما يتصل بمقول الناس . فالملم في نظره وسيلة لا غاية . ومتى تعارضت تفريراته ومترز العبقرى الوحشي المستقل ، وخلاصة ملاحظاته وتجاريه ، لم يتردد في تطهير عقله منها والتحرر التام من مؤثراتها ، وكيف نطلب ممن يشعير في نفسه بقوة ابتكار هائلة ان يخضع لمجموعة آراء ونظريات وتقريرات اتفق عليها من هم هؤلاء تكاء وبجلاء .

أما الاديب المتوسط او العادي فيهرع الى الثقافة العلمية ونظرياتها كبلجا يقيه شر العثار فيقيم عليها اعماله ويتغنى بها ويستعيد لها كما فعل الكثيرون من متوسطي كتاب القصة في اوروبا الذين جعلوا من حوادث قصصهم وابطالها صورا تطبيقية لنظريات فرويد ، وغيره من علماء النفس ، فظنوا انهم بذلك يخدمون الحقيقة العلية ، في حين ان هذه الحقيقة لا تخدم في الادب الا عن طريق الثقافة المقرونة بالحرية المطلقة في التفكير والاحساس بالملاحظة والاداء .

وان ما لاديب الذي يهدي العالم هو العبقرى او النابغ والذي يهتدي به هو العادي او المتوسط . وعلى كل ، فالجامل لا يهدي احدا ، ومن واجب اديبنا العرب ان يفهموا انه اذا كانت عبودية الاديب للثقافة العلمية ضارة بالادب ، فالتجرد من عناصر الثقافة كائنا

وتطبيقها على نظريات في السيكلوجيا والفيزيولوجيا بطريقة علمية محضة .

فتشكيب بغيريته الموقدة ، والهاله العاصف ، الذي يمزق حجب الاشياء وينفذ ثوا الى صميمها يرى ما قد لا يراه العالم فيسبته في ابراز عاطفة خفية او احساس شاذ او تعامل عجيب من تفاعلات النفس البشرية . وهكذا تكشف العبقرية في لحظة ما يتهالك العلماء على الوصول اليه في سنين .

وعلام نضرب المثل بتشكيب وقد حدث في عصرنا هذا ان قصص الروائي الروسي دستوفسكي امثال « الجريمة والعقاب » و « الشياطين » و « الإله » و « كارابازوف » قد استعان بها علم النفس الحديث في تقرير اعراض نفسية مرضية حديثة لم يكن قد اضافها بعد الى قائمته !

ومن جهة أخرى فنظرية العقل الباطن والاحساسات الشاذة المكتوبة في طواياه ومطاردة المجمع لها وظهورها المفاجيء بعد وقت طويل ، ونظرية توزع المواصفات وتقلبها وتحللها الدائم وعدم استقرارها والنظرية القائلة بأن الشخصية الانسانية لا وحدة لها ، ونظرية الغيرة الدفينة ، جميع هذه النظريات السيكلوجية التي تسما العلامة « فرويد » ونظلمها وحددها في مذهب خاص يحمل اسمه ، احس بها دستوفسكي وصور نتائجها واعراضها اليومية في ابطال قصصه قبل ان يكون للعلامة فرويد وجود .

ولقد اغضى الامر بفرويد الى ان اصبح يتطوع لكتابة مقدمات قصص دستوفسكي ، يشرح لنا بواسطها ما نهجه من اخلاق ابطال الرواية . ويتخذ من شخصيات هؤلاء الابطال ابئة لنظرياته ، وهذه هي فائدة العلم .

انه يبرز الى نور العقل الساطع ما يمكن في تضاعيف الغريزة الادبية المبتكرة من حقائق مشوشة مستورة .

ولكن ، ما الذي يفهم مما تقدم ؟ هل معناه ان الجهل في الاديب هو مثار العبقرية ؟! وان الثقافة العلمية معطلة لمواهب الابتكار ؟ وان الاديب

البقية على ص ٣٧

في خريف عام ١٩٢٢ ، بأرح
المرحوم أمين الريحاني ، أو قل :
فيلسوف الفريكة ، نيويورك قاصدا
الجزيرة العربية ، في رحلة قومية علمية
صور فيها خواطره في تلك السياحة
الثقافة ٠٠ وخلع على الخزانة العربية
كتاب « ملوك العرب » في جزأين ،
أودعهما ما لقيه في تلك الرحلة الريحانية
من مشاهدات وطرائف !

الكويت

كما يصورها فيلسوف الفريكة

أمين الريحاني في رحلته
الى الجزيرة العربية

اليدوي المثلث (عمات)

واذا عرفت الريحاني كاتباً بارعاً بالانكليزية ،
فاحر بك ان تعرفه كاتباً ساحراً بالعربية ، لغة قومه !
في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط ١٩٢٢
الموافق للثامن من رجب سنة ١٣٤٠ هـ ، وطئت قدماه
ميناء جدة ، ولقاءه صديقه القديمان الشيخ فؤاد الخطيب
والشيخ قسطنطين بني ومحافظ مدينة جدة مرجعين باسم
المغفور له الملك حسين بن علي .

وبعد ان امضى الريحاني مدة في ضيافة الملك
الهاشمي بارح الحجاز الى اليمن ورغيق جنبه الشيخ
قسطنطين بني ، واقام في ضيافة الامام يحيى بن حيد
الدين (المتوكل على الله) .

وبعد ان حدث الريحاني الامام في الوحدة العربية
الشاملة التي لا تتحقق الا باجتماع رؤوس العرب كلهم
للتعارف أولا ، والتفاهم والسعي لفضي الخلاصات
القائمة بين المسؤولين العرب ، رحل الى عسير ، في
عهد كبير الادارة الامير محمد ، ومنها الى لحج ، فقابل
السلطان عبد الكريم فضل ، وكاشفه بأسباب رحلته
وامانيه القومية .

ومن لحج قصد «عذنا» فيومباي فالبصرة فيغددا
وعاد الى البصرة ليسافر منها الى البحرين اولا للقاء
السلطان عبد العزيز آل سعود في الحسا ، وكان رفيقه
في سفره بحرا السيد هاشم بن السيد احمد الرفاعي
الكويتي ، وكان يومئذ في خدمة سلطان نجد كاتباً من
كتاب ديوانه ، وقد جاء البصرة عهد ذاك في مهمة رسمية
ولقي الريحاني والرفاعي من حفاوة السيد عبدالله
التصبيبي ، وكيل ابن السعود في البحرين ، ما انسأها
وعناء السفر ، وسبقه السيد هاشم الى الحسا ليجيب
عن المهمة الرسمية التي انتدب لها في البصرة .

وجّه التصبيبي سفينة اقلت الريحاني الى ميناء
العقير ، وعند وصوله وجد السيد هاشم الرفاعي
الكويتي في انتظاره .

وبعد ان عقد مؤتمر العقير ، بين السلطان عبد



السيد هاشم : ولكن الجنة كائنة يا استاذ !
الريحاني : جنة ابله كما قال الفزالي ، هي لك بخيشني مني !

السيد هاشم : انت تزح يا استاذ !
الريحاني : انا اجد

السيد هاشم : اتبني حصتك فيها ؟
الريحاني : وهبتها كلها .

السيد هاشم : او تكتب لي حجة بذلك ؟
الريحاني : يا دحيم هات الورق والحبر !

فبادر السيد هاشم بهما الى الريحاني فكتب مايلي :
« على فرض ان الجنة موجودة ، فاني اهب السيد هاشم من السيد احمد الكويتي السني الشافعي الرفاعي حصتي فيها ! »

ووقع الريحاني على الصك ، ودفعه الى السيد هاشم ، فاعاده هذا اليه قائلا للريحاني « بالله يا استاذ امضه بالانكليزية ايضا » ، فقال الريحاني وقد دون اسمه باللغتين : « انظن ان لرضوان مستشرا انكليزيا ؟ او ان الانكليز اصحاب الانتداب في الجنة ؟ »
فقال السيد : « الله اعلم ! » وعاد الى المرأة يعدل عقاله !

وكان الريحاني قد ادرك ما للمرأة من الاهمية في حياة صديقه الرفاعي ، فقال له مداعبا « وقد جعلتك وارث برآئي ايضا ! »

فحضر السيد هاشم بالهبتين ونادى : يا دحيم هات اتقوه !
يا دحيم هات الخارطة ، هذه هي الرياض وهذا الوسم — مائة ميل — وهك وادي السر فشقرا غنيزة فبريدة — مائة وخمسون ميلا — ومن بريدة الى الحفر مائة وخمسون ميلا !
السيد : هاشم : لا ما الا في الحفر !

الريحاني : توكلنا على الله ، ومن الحفر الى الكويت ثلثها — الجيلة — ٥٥ ميلا — مسيرة عشرين ساعة في السيارة ، وعشر ساعات في الطائرة طير « الهون » ولكننا في بلاد لا نريد ان نظير فيها ولا فوقها ، فقد طابت لنا حتى في مفازاتها ، واجبننا اهلها ، واجبننا بغارينهم ، فوددنا السير فيها على طريقة دحيم كالسلفاة لتزداد بهم وبها علما وتزداد حبا !

خرج الريحاني من الرياض مصحوبا باثني عشر راكبا بينهم الرقيق والحارس والخادم والطاهي والهجوج وراعي البعارين يسوق قدايه طعنين من الغنم للذبح ومعه في الحيلة الخيام وفي مواعين المؤونة حتى العسل من عسر والبسكوت من لندن !
ومرت هذه الجيلة بالدرعية وبوادي خنيفة الذي يقضي الى اليمامة قبل الشيخ ، مسقط رأس محمد بن عبد

العزیز آل سعود ومندوب العراق والسير برسي كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق ، عهد ذاك ، لشسوية الحدود النجدية — العراقية ، سافر الريحاني في ركب السلطان عبد العزيز الى الرياض ، وامضى في رحلته مدة طويلة .

لقي الريحاني المنافع في رحلته الشاقة الطويلة على ظهور الابل ، واعتبها هم بالرحيل الى الكويت كتب من الرياض في مسودة الجزء الثاني من كتابه « ملوك العرب » هذه الكلمات :

الى الكويت ! ليس في الكلمتين ، اذا كنت في غير قلب البلاد العربية ، ما يدعو الى الخوف والاضطراب هب انك في بوجاي ، ومحجتك الكويت ، فالسلامة ترافقك في مركب بخاري تعددت فيه اسباب الراحة والاطمئنان ، ولو كنت في العراق وقلت : الكويت ، لبيك كذلك البخار فيجملك على العجلات من بغداد الى البصرة ، ويكك هناك الى باخرة تريك ، وهي تجري في شط العرب ، شيئا من الجنة على ضفتيه ، وتترك في جون من الخليج خفرت يد الزمان ، فاطمان اليه البحر والانسان !

ولكن تلك العبارة : الى الكويت ، وانت في الرياض وراكك الدهناء ، وامامك الدهناء والتفود ، ولست يا رجل من الدواسر او من بني مرة ، وليس لديك من السيارات والطائرات غير « البلب » — الابل — انما هي المحنة التي تفاخرك دائما باخيها الشقاء ويبان عمها الموت ، ومع ذلك فالسيد هاشم الرفاعي كان يحب الى الاخوت واخيها وابن عمها اكراما للشيخ احمد آل صباح والكويت ، ولعله اكثر من عشري وفلسفي فاستحجر قلبه !

— الشيخ احمد ، رجل زين ، يا استاذ ، متعلم متأدب سافر الى اوروبا ، وهو يتألق بلبائسه ومأكله ، والكويت يا استاذ مدينة تنسيك الرياض ، هي باريس البلاد العربية فيها طبيب ومستشفى ، نعم فيها طبيب ومستشفى . ثم يبادر الى المرأة فيحكّم وضع عقاله ويقول : لا ماء الا في الحفر !

فيجيبه الريحاني : وقد اموت يا سيد هاشم قبل ان اصل الى الكويت !

فيقول السيد هاشم : حياة الفلاسفة طويلة يا استاذ ، وهب انك مت فقد شاهدت الرياض والاخوان ، فيؤذن لك بالدخول الى الجنة !

وهنا دار بينهما الحوار التالي :
الريحاني : الجنة لكم لا لي .. هات الخارطة يا دحيم .. واعطني الماء سائرب ما يكفيني الى الكويت .
السيد هاشم ، بعد ان عدل عقاله ووضع المرأة تحت المسند : هلا تعتقد بالجنة يا استاذ ؟
الريحاني : لا اعتقد بها ولا بك !



قضى الريحاني ورفاقه بضع ساعات من يوم رحلتهم الأخيرة يشربون القهوة والشاي ويسمعون ما يشرب من العاصمة الى هذه القرية من اخبار العالم ، على ان اهل الجهرة يهتمون لما في البادية ولاخبار نجد والاخوان اكثر من سواها .

وفي الجهرة اخبره اهلها بان بلدتهم مجلبة للرياح مثل الحفر ، وان الهبوب التي مهبها الشمال مسطرة عليها ، على انهم لا يخافونها بقدر ما يخافون « هبوب الجنة » التي مهبها الجنوب .

والريحاني يكره الهبوب سواء اكانت جنوبية ام شمالية ، فشكر الله ان مسرحها في الجهرة يوم نزلها كان خاليا هادئا ، وبينما كان عائدا من البلدة الى مضارب رفاقته ردد آية الحمد فسمعه « هذلول » فقال : « والحمد لله في كل حال ، ولكن هذا المهب ! » لم ير الريحاني اثرا للمهب حيث كان ، غير انه كان يجمع جيوشه فوق جبل الزور ودونه في الانق الغربي ، وكانت طلائعه كالغيوم السوداء الماطرة وحركتها ظاهرا ببطيئة .

اسرع الريحاني وهذلول الى المناخ فالثيا الربع حول نار « سالم » يشربون القهوة ويتحدثون وهم لاهون عما هو حادث هناك ، فصاح بهم هذلول وامرهم بان يرموا القراخ ويطووه ، ويوطدوا اوتاد خيمة الريحاني .. وما كادوا يهيئون العمل حتى وصلت اليهم سريرات هبوب الشمال . امر هذلول الخدم بان يرموا العفش ويتأهبوا للرحيل ، ولكن سريرات من الغرب والجنوب احاطت بهم فاوقفتهم وشتمتهم وكادت تذهب بقمصانهم ، فلبثوا الى الجهة الشرقية من الخيمة فهوت وكادت تقع عليهم فصاح بهم هذلول : « اقضيوا الحبال ، ولا ترحلوا خيمة الاستاذ الضيف ، مكاكم يا نسامي ! » فتمسك خيوط وحيد وجعنين بحبالها ، والرياح من النواحي الثلاث تذرى الرمال على الخيمة وعلى النشامى . وحاتت ساعة المغرب والعشاء والصلاة ، الصلاة اولا ، وكيف يصلون وهم اذا استقبلوا القبلة التي هي غربي ذاك المكان يستقبلون الهبوب هبوبا ولا « هبوب الجنة » .

دعا الريحاني « خوياء » الى خيمته فدخلوها كلهم الا الثلاثة القايضين على الاطياب فاذن « مسفر » ثم صلوا وصلى الريحاني مع « خوياء » في اخر ليلة من رحلتهم الشاقة الطويلة ، وشاركهم في الصلاة والعشاء . جاء « مسفر » وابراهم بحبلان مرجلا كبيرا الى الخيمة فرمعا الغطاء ، فاذا على وجهه قطيفة من الرمل ، فكشطها « مسفر » بالمغرفة ، وصب ما في الرجل من الارز واللحم

الوهاب ، فبلد الحبيسة في قاع الوشم فثمردا فشقرا فالقصيم فعنيزة فبريدة .

وبعد ان قضى الريحاني وصحبه ستة ايام في الدببة نهضوا بعد نصف الليل واسروا في ضوء القمر الى الجهرة ليصلوها صباحا ، وما ابهجها ساعة اطلوا فيها على البحر !

البحر بعد اربعة اشهر في قلب البلاد العربية ، ما اجمله وجها ، وما اكرمه يدا ، وما ابلغه رمزا ، القفار ابعدت الريحاني عن العالم والبحر يميده اليه . القفار تربته من الله ، والبحر يقربه من الاهل والخلان .

الجهرة بلدة عند جبل الزور على ساعد من الخليج يمتد غربا من الجون وراء مدينة الكويت ، والمسافة بينها وبين العاصمة لا تتجاوز خمسة عشر ميلا ، وهي مشهورة بكثرة ابارها ، ويقصر فيها لشيخ الكويت ، وبذلك الوقعة بين اهلها والاخوان . اناخ الريحاني وصحبه ركبهم خارج السور على كتيب من الرمل وارسل بداحا بكتاب الى سمو الشيخ احمد الجابر آل صباح يعلمه بوصوله ويستأذنه بالدخول الى المدينة ، وسبق للريحاني ان كتب لسوّه من الرياض وبلغته منه الجواب مرحبا بالسائح العربي ، ولكن « هذلول » ، وهو ولي الامر ، حريص على الرسبيات فلا يدخل مدينة قبل ان يسبق منه علم بذلك الى اميرها .

وما كاد رجال القافلة ينصبون خيامهم حتى جاء بعض اماضل الجهرة وفي مقدمتهم امر القصر يزورونهم ويدعونهم للقهوة في بيوتهم ، فذكروهم باهل القصيم في ترحيبهم بالغريب ..



اخر ليلة من ليالي الرحلة ، يرن في اذن الرحالة العربي
وفي مؤاده ، وظلت تلك الايات التي دونها الريحاني في
مذكراته تنطق بلسان ذلك الفيلسوف اذا ما ذكر هذلول
ونكر خوياه اجيمين :

يا علي ونيت ونه

يوم ارتحلوا فوق عوص التجايب

يا ليتني معكم على كوارهن

مع ربي اللي هرجهم لي عجايب

بالله يا خلاق نار وجنه

نسالك يا منشي صفوف السحاب

تسير يمام الدين لديرارهن

حتى نشوف صويحيي والحبايب

صويحيي اللي مني وانا كنت منه

منساه او رزت علي التصايب !

كان الريحاني قد عاهد خوياه وهم على اسوار
الكويت ، ان يدخلها وايامهم على ظهور الركائب ، ولكنهم
قبل ان يصلوا الى المدينة راوا سيارة قادمة منها فوقفوا
اذ دنت منهم ، فخطب هذلول الريحاني بقوله : « من
الشيخ احمد ، نوح نوح ! »

اناخ الريحاني ذلوله اسفا اذ لا بد من الركوب في
السبارة ، فإخلف بوعدة ، ولم يف بعده ، وجرم لذة
كان يحلل النفس بها ، وليست القافلة في البادية غير
قافلة معها كل عدها ، وليس الركاب فيها ايا كان
غير واحد من المسافرين ، لا أهمية للانسان والحيوان في
القفار ، أو ان الاثنين واحد في فسيح مهالكها ! ولكن
القافلة ، ساعة تدنو من العمران ، من الحضارة ،
تتغير في نفسياتها فيعظم شأنها ، فتدخل بوابة السور ،
وقد اختلطت في قلبها الكبر والسرور ، وتسير في اسواق
المدينة كأنها موكب من مواكب النصر والفخار ، وكان
كل واحد من الركب امير على عرشه العالي او قائد
عائد من ساحة الوغى ، هو وهم في عجب ولا مراء ،
ولكنه وهم جميل كان يستوقف العقل من الريحاني كل
مرة يصل فيها الركب الى مدينة ، كما تستوقف العين
صورة جميلة ، بل كان يلذ للريحاني ولا غرو اكثر من
سواه لانه حديث العهد بذلك الوهم !

اسف الريحاني عندها اناخ ذلوله خارج الكويت . .
لكنه دهش وسر ، ففسي ما كان يحلل النفس به اذ رأى
صديقه القديم السيد يوسف السلام جلبي آل بدر ومعه
الشيخ عبدالله خليفة آل صباح ، وقد جاء من قبل
سمو الشيخ احمد الجابر آل صباح يحلمان اليه كتاب

ونحر الريحاني وصحبه الزاد وهم جالسون القرفصاء
ولكن الرياح وهي تصفر وتنفخ ، من خلال فرج الخيمة
ومن تحتها كانت تسبقهم اليه ، فيجيء الرمل ، في كل
سفة من الارز ، كالبرد في الصبر ، وما كنت تسمع
مقطعا او حرفا واحدا من الشكوى ، بيد ان الريحاني
كظم وتجلد خجلا من رفاقه وشكر الله على عشاء الارز
والرمل !

بات الريحاني وخوياه جميعهم في خيمته يتقصون
القصص والرجال يتناوبون حراستها والرياح تولول
وتحاول عينا اقتلاعها ! وسأل الريحاني هذلول غير مرة
ان يبلي عليه شيئا من شعره غايى انضاعا ، لكن الريحاني
الح عليه مذكرا بان تلك الليلة هي اخر لياليه معهم ،
فأذعن هذلول واكرم الريحاني بشعره النجدي .

وانتصف الليل فطلع القمر ، وسكنت الرياح ،
فقام الريحاني وصحبه يتأهبون للرحيل واسروا من
الجهرة مكرهين ، وبعد ساعتين اناخ الربع ليتنموا عملا
لا بد منه وهو ان يغفروا ثياب السفر قبل ان يدخلوا
الكويت ، وشب الرقاق النار ، وغرثوا بعض الفرش ،
وحاول الرحالة العربي ان ينام ساعة بينها خوياه يرتنون
ثيابهم الرسمية ويزيتون انفسهم ولكنه وجد ان شرب
القهوة ورعي النجوم اسهل من النوم .

ارتدى كل من الربع كسوته الجديدة التي أنعم
بها السلطان عبد العزيز آل السعود قبل السفر من
الرياض ولبس هذلول ورجاله التجاد الجلدي نوحتها ،
وتنطقوا بمناطق الفكك واخرجوا البنادق من بيوتها
والفطرات الجديدة من الاخراج ، وكانت مرآة « مسفر »
الصغيرة تقوم بفضل القمر بواجبها فتداولتها الايدي ،
وسميت لها الوجوه .

وفي الهزيع الاخير من الليل شعر الريحاني بانه
اسير اكتاب حاول ان يخفيه ، وكيف لا يكتب وهو في
الرحلة الاخرى من رحلته ، وان القمر لا يطلع مرة اخرى
عليه وعلى رفاقه الحقيقين الاوفياء ! وفي تلك الساعة ،
ساعة الفراق ، اعتراه الغم ، وود من الزمان يوما آخر
يسير فيه معهم الى واحة من الواحات ، وليلة اخرى
يسمر فيها حول نار « سالم » نمرقش « مسفر » رقصة
الاخوان ، ويطمع ابراهيم التار الى ان يتخلل دخانها
خيوط الشمس الذهبية : « حنا اهل العوجا ، مروية
السنين » .

ظل شعر هذلول الذي املاه على الريحاني ، في

اول ما استرعى نظر الريحاني وهو داخل الكويت من البر ذلك السور الكبير الذي بناه اهلها بعد وقعة الجهرة ليمسكوا هجمات الاخوان ، وهو سور يحيط بالمدينة من جهات البر كلها ، طوله خمسة ايام ، وعلوه نحو اربعة امطار ، وسكه في بعض الاحيان متر او يزيد ، فيه المحافل والكوى للرعي والدفاع وله بوابات ثلاث يقيم الحرس عندها ، وتقل في الليل ، لم تنشق الحكومة روية واحدة على بناء هذا السور فقد تبرع اهل الكويت كل بما يستطيع من عمل او مال ، واتوا البناء في مدة شهرين ، انه من الاعمال المدنية العلية المدهشة ، خصوصا في البلاد العربية .

دخل الريحاني مدينة الكويت في الساعة الواحدة من ذاك النهار ، فوفقت السيارة التي اقلته ورفيقه في الساحة الكبرى ، فترجلوا ومشوا تجاه صف من الناس جالسين في الغلاة على مجالس من الحجارة والطين الى سائط بيت صغير ، فوقفوا واصلوا ، من كان جالسا في الوسط ووقف على اثره الجميع . هو سمو الشيخ احمد الجابر الصباح ، حاكم الكويت ، خرج من قصره بحاشيته وبعض اسرته ليستقبل الضيوف في المكان الذي يجلس فيه للناس . رأى الريحاني هذا المشهد البعيد عن الرسميات فقال : « ليس احب الى السائح وليس اقرب الى الديمقراطية الحق والمساواة من هذه المظاهرات الملكية في الغلاة » . هنا الشيخ احمد الجابر الصباح صلبه العربي بسلامة الوصول واعرب عن دهشته لسفره في البلاد العربية هذه السفرة الطويلة ، ثم قال للريحاني : « العرب انفسهم يا استاذ يكبرون هذه الطريق ويخافونها ، ومنهم من لا يقوى على تحمل مشاقها ، ولا ادري كيف تحملتم ركب الذلول كل هذه الايام ؟! نهنيكم يا استاذ ونرحب بكم ! » .

ولم يشأ سمو الامير ان يطيل الجلسة الاولى رغبة في راحة ضيفه ، وبعد ان تناول القهوة معه اشار عليه بالاستراحة في القصر . ولقي الريحاني في ذلك القصر مفاجات الرف والرفاه ، فكتب في مذكراته : « تالله ما تفعل البيداء وخشونة العيش ، دخلت القصر في الكويت كائنني بدوي لم ير في حياته قصرا جميلا ، تزينه الاعددة والقناطر ، ولم يجلس مرة في صالة مفروشة بالفخر من الرياش ، وعندما جاء الخدم الواحد بعد الآخر يحملون الاطباق فوضوها على السجادة ، وجلست انا ورفيقي اليها فتنت بها احاط صفحة الارز من الالوان المطبوخة بالبقولات ! البقولات ! بعد الارز والرمسل واللحم والتراب التي كان يبلخها لنا « مسفر » ومعاوناته

السلام والترحيب ! كان اخر عهد الريحاني بصديقه السيد يوسف جليبي في البصرة عندما زارها الريحاني في مستهل رحلته الى الجزيرة العربية ، قبل وصوله الى الرياض وقد التقى به عند صديقهما الشيخ محمد امين عالي باش اعيان العباسي ، يوم ادب لهما بادية فاخرة في قصره « الصالحية » على نهر الصالحية هناك ، فقال الريحاني بتصرفا بالبيت المأثور :

والصالحية جنّة والصالحون اليها امو!

وكان الضيوف يومئذ عشرين ونينا من الصالحين وكان يوسف جليبي قد شحذ سلاحه جالسا الى جنب الريحاني يسف الارز سفا عجيبا والريحاني يعجب به ويتنى ان يحذو حذوه . وعلى السباط سال الريحاني يوسف : « هل استحق الشهادة في السب البسيط ؟ » فاستعرض يوسف سف الريحاني ثم قال : « لا يزال ينقصك يا امين شيء من العلم والانتان ؟ » قال يوسف هذا ومد يده الى الارز فادارها فيه ، كانه يحدد دائرة هي ملكه ، وقبض على كتلة كبيرة منه قد ملكها ، ثم رفعها وجعلها ، وهو يعصر السمن منها ، اكرة متليسة شديدة ، غققف بها اذ ذاك فبه دون ان يسقط منها او يتبقى بين انامله بذرة واحدة ، فقال الريحاني يوسف : « اني مسافر الى نجد فاترين هناك ، وسأعود ان شاء الله اليك لتعطيني الشهادة » وما كان في الحسيان ان التقادير ستجمعهما هذه المرة في الكويت ، فتصير النكة بعد اربعة شهور حقيقة مضحكة !

وفيما كانت السيارة منطلقة الى قصر الامير ، قال يوسف للريحاني : « سنفحصك اليوم في القصر ونعطيك الشهادة بانن الله »



الرياح ، انها من النعم التي يغفر فيها الإيهامج
والانصراف .

استضاف الشيخ احمد الجابر ال صباح الرحالة
الريحاني في قصر الضيافة ووجد الريحاني في اول وجبة
طعام تناولها البقولات والخضار المطبوخة بعد الارز
والرمل واللحم والتراب الذي كان يطبخه « مسفر »
للريحاني ورجال الحملة الذين صحبوه من الرياض الى
الكويت !

سجل الريحاني كافة انطباعاته وخواطره في كتابه
القيم « ملوك العرب » ومما كتبه في وصف اطباق الطعام
التي قدمت له في قصر سمو الامير احمد قوله : « نحرث
الالوان نحر العائش المشتاق ، واخصصت بالانصراف
بندورة الكويت التي يشحنون منها الى البصرة ، وهي
صفيرة مديكلة ، يطبخونها بقشرها دون ان تمسها
السكين . ثم سمك الكويت المشهور الذي يشبه سمك
المشط في طرية ، ولكنه ارق وادمس ، ثم الحلوى وما
اشد حلوها واكثر سمنها واسرارها ! وعنديها نهضنا
نغسل ايدينا وقف امامي السيد يوسف السلام ال بدر ،
وهو من رجال السباط المشهورين في البصرة والكويت ،
فصافحتي وقال : « اهتلك بما احرزت ، فقد صرت منا
ليس في سف الارز فقط بل في سف السباط » . وبعد
ان ودع السيد يوسف صديقه الريحاني خرج الرحالة
العربي الى الايوان ذى العمد ، المشرف على الخليج ،
ففتن بهشهد البحر والسفن المرسلة بضوء القمر ،
وظل حتى نصف الليل جالسا على كرسي مخدي وهو
في ثوب النوم جلسة امريكية ، مطلقا العنان للذيد
الاحلام .

نام الريحاني قليلا وافاق يئن من شدة الالم ، اذ عاد
السباط في بطنه نارا واستحال نعيمه جحيما ، وأحس
بشيء يتعقد في بطنه ثم ينحل ثم يتقطع ثم يذوب فيذوب
الريحاني معه وكاد يموت من شدة الالم ، وراح يصرخ :
« والله يا رب العالمين ، يا ارحم الراحمين ، أمني الهواء
الاصفر نهاية هذه الرحلة ونهايتي ؟ او انها بندورة
الكويت تفعل ما لا تحمله الادوية والاصلاح » . وفي
الصباح جاءه صديقه السيد يوسف جلبي مخزن لحال
صاحبه ويادر الى الطبيب ، وبعد ساعة جاء الطبيب
فكثبت الجرم على بندورة الكويت وقتال للريحاني :
« لها شريكة هي الحمى التي اصابتك في الرياض » .
استأنس الريحاني بالطبيب ايها استئناس لانه من
لبنان واسمه امين ريحان من بيروت ، وسأل الريحاني
سميه الطبيب عما جاء به الى الكويت فاخبره انه في
معية السردار اقدس الشيخ خزعل خان السذي جاء

يقضي بعض الشتاء في قصره خارج مدينة الكويت ،
فوقع الخبر هذا على الريحاني برذا وسلايا ، اذ كان
عازما على زيارة الشيخ خزعل في المحمرة ، ففسر
الريحاني بقرب الطبيب اللبناني منه وعادته العافية
في ذاك النهار .

.....

ليس من يجهل ان العرب تقسم الى « قحطان » أي
العرب العرباء و « عنان » أي العرب المتعرية .
وان عنان تقسم الى فرعين مضر وربيعه اما مضر
فستكنت الحجاز ، وكانت لها الرئاسة في مكة ، واما
ربيعه فكانت منازلها في نجد اي بين اليمامة والبحرين
والعراق . وتقسم ربيعة الى عمارتين : بني كلب وبني
اسد ، وينتزع بنو اسد الى فرعين او بطنين هما جديلة
وعنزي ، ومن عنزي يتحدرك بكر بن وائل الذي تنسب
اليه البيوت الثلاثة الحاكمة في نجد والبحرين والكويت ،
أي ال سعود وال خليفة وال صباح .

كانت عنزي تقطن أولا في عين النهر في بر العراق
على مسيرة ثلاثة ايام من الانبار ، ثم انتقلت منها الى
نواحي خيبر فاتاهت هناك ومعها احياء من طي ،
فصارت تتجمع وتشتي معهم في نجد ، انها من اكبر
قبائل العرب ، وهي تقسم الى افخاذ كثيرة منها جميلة
وتقسم جميلة الى فروع كثيرة منها الشملان ، وتقسم
الشملان الى عشائر اكبرها واشهرها ال صباح .

اما الكويت فناريخها القديم غامض ، وقد لا يكون
لها من شأن قبل ان يستقر بها ال صباح قادمين من
خيبر . والكويت تصغر كوت ، والكوت في اصطلاح اهل
تلك النواحي بيت بحوط ببيوت صفيرة . كانت هذه
الناحية يومئذ ، لبني خالد يجمعون فيها زادهم اذا
ربعوا في الحجرة ، فجاء ال صباح كما هو منقول ،
وسكنوها باذن منهم ، ثم انتخب « صباح » حاكبا على
العشائر فيها وكان ذلك في النصف الثاني من القرن
الثاني عشر للهجرة ، اذ المرجح انه توفي سنة ١١٩٠ هـ
فخلفه ابنه « عبد الله » الذي توفي سنة ١٢٢٩ هـ .
كان الشيخ عبد الله الصباح اول من حكموا الكويت
من هذا البيت ، حكى نحو اربعين سنة ، فاستمرت
الكويت في عهده وشاع ذكرها في الخليج ، ثم خلفه ابنه
« جابر » عام ١٢٢٩ هـ ، وخلف « جابرا » ابنه صباح
عام ١٢٧٦ هـ .

تقف عند هذا الحد من الحديث لنعود الى الريحاني
وانطباعاته بعد الليلة الاولى من وصوله الى القصر
الذي نزله ضيفا على سمو امير الكويت عايداك الشيخ
أحمد الجابر الصباح .

شكري شعاعه الشاعر

بمناسبة ذكره الثالثة - ١١ حزيران ١٩٦٦

بقلم : عيسى التاعوري

لقد نظم شكري شعاعه شعرا كثيرا ، ولكنه لم يقدّر له ان يظهر في ديوان مطبوع بعد ، بل بقي أوراقا متفرقة ، او على صفحات الصحف التي ظهر فيها في حينه . ولهذا ليس من السهل ان نستطيع الإطالة في السرد والتبثيل على مختلف ألوانه الشعرية .

بجمع شعر شكري بين التامل ، والنقد الأخلاقي ، والتزوع الى الخير في المجتمع الانساني وقد نظم الشاعر كذلك شعرا في بعض المناسبات ، الشخصية والاخوانية على السواء ، من حزن ومن فرح ، ومن رثاء وما الى ذلك . ولكن شعره لا يتميز بأسلوب خاص ، او بعبارة لماعة مزخرفة بل كل اعتماده على العبارة البسيطة المباشرة التي تؤدي المعنى دون ابهام ولا تعقيد ، مع الحفاظ على الوسيقي الشعرية العربية الاصيلية في كلاسيكيتها . وهذه العبارة الشعرية السهلة المباشرة هي صورة لنفس الشاعر البعيدة عن التعقيد والمداورة ، لانها تمضي الى غرضها ببسر وسلامة طوية .

ولكن الحياة كانت قد اورثت الشاعر كثيرا من الاشفاق على اخلاق الناس الذين عرفهم ، ومن الالم لما في المجتمع من نفاق وخيبت ، ومن عقوق وخيالة . وكل هذا كان لا بد له من ان ينعكس على صفحات نفسه المرهقة الاصلاس شعرا مثالا ، يفيض بالكابة . والواقع ان للسوداوية الكثيرة نصيبها الكبير من شعر شكري شعاعه . لقد بدأ حياته يؤمن بالناس ويثق بهم ، غير ان الايام قلبت رايه فيهم ، فاصبح كثير التشاؤم ، وبحبا للوحدة ، لا يأنس الا الى عدد محدود من الاصقاء الخلس . وهو يقول في هذا :

خير اخوانك المشارك في المر

واين التريك في المر ، اينما ؟

لا ارى للانام ودا صحيحا

عاد ود الايام زورا دفينما !

ارى الحياة بلا سمي ولا عمل
لصالح الناس تقصيرا واجراما
ولا ازكي اخا ان عاش في صمم
عن النداء ، وان صلى وان صام
فعمش كريما يداوي البؤس مطلقه
ويغير الناس احسانا وانعاما
.....

هذه الابيات القليلة التي نقدم بها لحديثنا هذا ، في ذكرى الادييب الشاعر شكري شعاعه ليست كلاما جيلا بقوله صاحبه للآخرين دون ان يهمل به هو نفسه ، بل هي في الواقع من القواعد الانسانية التي عاشها شكري شعاعه بنفسه ، وسار عليها في حياته : انها قاعدة حياة ارتضاها لنفسه ، وارتادها للآخرين . لقد توفي شكري شعاعه في الحادي عشر من حزيران عام ١٩٦٣ ، عن ثلاثة وسبعين عاما قضى تسما كبيرا منها - منذ العهد التركي - في السلك الحكومي في الاردن : عمل في عهد الامارة ثم في عهد الملكة ، ثم عمل في عهد الوحدة بين اليفتين . وقد شغل منصب الوزارة مرارا في المهدين - قبل الوحدة وبعدها - واخر مركز شغله كان منصب رئيس ديوان المحاسبة . ولكن الوظيفة لم تكن لتصرفه مطلقا عن الادب والشعر . غير ان ما ظهر من مؤلفاته الادبية لم يزد على اثنين هما « ذكريات » المطبوع في عمان عام ١٩٤٥ ، و « في طريق الزمان » المطبوع في عمان كذلك عام ١٩٥٧ . وفي هذين الكتابين يتجلى تائر شعاعه بأسلوب مله حسين الهادي الرصين ، والناقد الذي يجمع بين السخرية اللاذعة والنظرات الدقيقة الصائبة . ولست في سبيل الحديث عن حياة شكري وادبه بشكل عام ، ولكنني اغتم مناسبة الذكرى الثالثة لوفاته لاتحدث حديثا خاطفا عن شعره فقط .

ويقول ايضا :

طلاء ما ارى ان كان قريبي
واهواء اذا ذهب الطلاء
فلا تعجب اذا الانباء عقوا
ولا تعجب اذا الاخوان ساؤوا !
لقد بلغت به السوداوية حدا جعله يبتعد عن الامل
والاقرباء ، ولا يكاد يثق حتى بالاقربين منهم احيانا ،
فينملط على نفسه بعيدا ، او كما يقول :
اراني في خريف العمر احياء

سجين البيت ، مختزل الوداد
يفهرب الى صداقة البعيدين والانس بهم عن عزلته
وانفراده :

قد كنت احسب ان لي اهلا اعز
بهم اذا فوجئت بالحدثان
واليوم انتشد في البعيد قرايتي
واعد نذكر الامل من هنياني
فكرت في ما يزجر الانسان عن
ما قد يسيء به الى الانسان
فوجدت في القري حائل طامع
ووجدت في الاخلاق كل هوان
ووجدت فعل الشر فيه سلامة
ووجدت فعل الخير فعل جبان
وغل الزمان ، ولا تزال طباعنا
فعلا تفتل شررة الحيوان !

وهذه الابيات تذكرنا بشاعر اردني اخر له في الناس
مثل راي شعشاعة ، وهو مصطفى وهبي التل وقد قال
فيهم مثل الذي قاله شكري في ابياته هذي او التل
في النعمة والسخرية والتحدي وفي المرارة والنعمة معا :
لما رايت الكذب سر تفوق الفلة السريه
ورايت كيف الصدق يذهب من يقول به ضحيه
ونظرت احلاس الوظائف سادة بين البريه
ايقتت ان الامعية في ازراء الامعية
وسبرت اغوار السراة ، وقسنتهم بالسرسريه
فوجدت رهط المهر قد بذوا الامثال اريحيه
التجربة عينها عاشها الشاعران الاردنيان الكبيران
في البئسة الواحدة ، وفي الفترة الواحدة من الحياة وقد
تشابها في التعبير عنها كذلك الى حد غير قليل .

ان هذه السوداوية تنتشر في الكثير من شعر
شعشاعة التاهلي والاجتماعي . ولكن الشاعر يلجأ
احيانا الى الحكمة ، او شبه الحكمة ، لتهوين شؤور
الحياة واهلها ، فيقول مثلا :

دنيا الزمان مقامم ومرافق
تغني ، ودنيا الخلق غنم باق
او يعيد الى تعزية نفسه بقوة الروح في حياة ليس
فيها ما يمكن الاطمئنان اليه :

صليا نشات فما التوى
عودي ، وما قط استنمت
قد كنت احسب انني
بكر الزمان اذا انتخيت
فماذا الحياة لها جوانب
لم تكن ما حسبت

ان مصدر هذه السوداوية ، وهذه الفلسفة الانتزالية
التشاؤمية الكئيبة ، هو رقة احساس الشاعر ، فهو
يتأثر بكل شيء : لقد اراد الحياة مثالية مطلقة ،
فصدمته الحياة في مثاليته فاذا الغش ، والنفاق ،
والكذب ، والتضليل هي التي تسود وتسيطر فيها ،
واذا الخلق الرفيع ، والعفة ، وعزة النفس ، والامانة ،
والبطولة ، والشرف هي التي لا تلاقي غير الخذلان
ومرارة الخيبة . وليس اقصى على النفس الحساسة
من ان تصدم في مثلها العليا ومبادئها السامية . وهل
بعد ذلك من غربة في ان يهتف الشاعر برارة ، معريا
عن سامه من الحياة :

دعالي بالحياة اخو وداد
رويدك ... انما تدعو عليا

فما كان البقاء لي اختيارا
لو ان الامر مردود اليها !
او يهتف في قصيدته « الانسان المذنب » مصورا
مشاعره الالية نحو الحياة :

مصنوب يرتجي الاشواق تحمله
الى السماء ، فهذي الارض تتعبه !

على ان اطلنا الوقوف عند هذه الكآبة النفسية
القائمة لا تعني ان كل شعر شعشاعة هو من هذا
اللون . ان له شعرا تأمليا وشعرا في الطببيعة ،
وفي ابناءه وبناته ، فيه العاطفة الصادقة ، والاستبشار
بالحياة ، وحنان الابوة . ومن ذلك قوله في ولديه هاني
ونزار :

كنزي هما في غربتي ، ونخبرتي
وربيع نفسي ، وابتناس زمانني
هذان ما كسبت يداي من الدني

وهما اللذان فخرت للاوطان
ويفرح للقاء ابنته ليلي اذ تجيء في يوم عيد بعد غياب
طويل ، فيقول :

اهلا بليلى ، انت في العيد زائرة
وافرحنا ، فشملني اليوم ريان !
آبت الى عشنا تشدو مشردة

يا للرضى ، ان عيدي اليوم نشوان !
ولامه في قلبه حب عظيم ، وهو يعبر عن حبه هذا

التيقية على ص ١٩

مسألة

يماي

كل منا يدعو حاضره بالزمن المصيب . وكلنا يصفه كذلك من خلال ابعاد منظوره التاريخي و «الوجودي» . ذلك ان الايقاع الاصلي للوجود في هذا العالم يجلب معه هذا الاضلاس من تلقاء ذاته . على اننا لو اردنا ان نصدر حكما موضوعيا على فترة ما يكونها اسوا من سواها ام لا ، لنعين علينا ان ننظر اليها بمنظار يعلو على متعلق التاريخ . فمن خلال هذا المنظار وحده يمكن وصف التاريخ بانه ماض في سبيله السوي الذي ارتبته الابداء الالهية ، على النحو الذي تصوره الفلاسفة امثال القديس اوغسطين ، وهيجل ونيتشه . ان الخطوط العريضة التي تمر فيها حياة الفرد تعود للظهور في حياة جيل حضاري كابل . وعلى ذلك فان كافة المفاهيم التاريخية القائمة على التجربة هي مستمدة من واقع الحاضر الملموس ، الذي من خلاله نلخص الماضي والحاضر والمستقبل معا ، وبقبضة واحدة ، ثم نضيف معنى ودلالة على هذا « الكل » الجديد . وهكذا فان اي حقبة مغايرة لن تلبث ان تترك معنى التاريخ على نحو مغاير . بينما لا يجرؤ سوى الفلاسفة على خوض الغيايب الوعرة حين لا يقتنعون بمجرد اختبار افكار الانسان المتبدلة بل يتجاوزونها الى تأمل افكار الله ذاته ، وهو الامر الذي لم تعد تتجاسر عليه الفلسفة الحديثة .

ما تقدم يتبين لنا ان « بداعة الاحساس بالحاضر » تظل مرتبطة بالمنظور الثلاثي الالوجي للوجود الزمني . واننا ننتقد الى المعيار المطلق الذي يمكننا من الحكم

لتاس دوما ذلك القطاع الزمني الذي يعني « الحاضر » بالنسبة لهم على انه ازمة . ومن خلال صيغة الزمان الذي يغلف وجودنا في هذا العالم بنجم الايقاع الاصلي للحياة . اما « الحاضر » فينبطوي على قدر من رهبة الاشراف على عتبة هوة لا قرار لها ، ولو اننا التفتنا الى الوراء لتلقي نظرة على « الحاضر » لشعرنا بتناقضه مع الزمن الذي كنا نرسل فيه في طفولتنا . ومهما كان ماضينا مترعا بالالام فقد صار على الاقل مقررنا على نحو جلي لا يحتفل اي التباس او غموض ، بل ومن المحتمل ان تكون اناره قد زالت وجروحه قد اندملت . ونحن نجد المستقبل على التقيض من ذلك ، فهو ما زال مبهم المعالم ، وما من احد يدري ما اذا كان مجراه سيتبدل الى اسوا او الى افضل . اما اللحظة التي يلتقي فيها الماضي والمستقبل ، تلك اللحظة التي تجول معنا وتلازمنا دوما ، فهي التي نطلق عليها اسم حاضرننا ، حاضرننا الذي لا يكف عن التهديد ابدًا . فالاحساس بالوجود في اطار « الحاضر » يؤدي دوما الى افتقاد اسباب السعادة والكمال . وعلى الرغم من ان الانسان يتوق الى مستقبل افضل ، الا انه يخاف المجهول وبهاب المصير والموت . وهنا تحل لفظة الازمة ، التي تعني اصلا الفرقه والانفصال ، معنى الوضع القلق المتوتر الذي لا يمكن ولا يصح ، ان يظل على هذه الصورة .

الحضارة

بقلم : رياض بولص يعقوب

ويثوب في المجموع) . وانه ليس من السهل على الجهود البشرية استعادة النظام الذي بددته تلك الفوضى . ولا شك في ان معالجة هذا الموضوع بالتفصيل امر مستحيل هنا لضخامته . فما من قارئ ينتظر من مقال واحد كهذا سوى استخلاص بعض وجهات النظر التي يجب مناقشتها بالتفصيل فيما بعد .

فكما نتف لدى الكائنات العضوية على جانب القوة من جهة ومواقع الضعف والوهن من جهة أخرى ، كذلك يمكننا الوقوف على عناصر الضعف التي ينطوي عليها البناء الروحي الفطري لاي حضارة من الحضارات .

ان كل حضارة لها خصائص ذاتية تميز ابناءها واتباعها ، لا تعدو ان تكون « تجربة » تجري بواسطة جماعات من الناس (الشعوب والاقوام) . ويجوز خلال هذه التجربة ان تلعب طبيعة الارض دورها (نظرية شبنجلر عن روح الحضارة) كما يمسح في حالات أخرى ان تؤدي بعض العوامل التاريخية التي تحدد مسار قوم من الاقوام الى ضغط الحريات وخنقها (نظرية توينبي عن التحدي والاستجابة) ، كما يمكن للصنعة التي لا سبيل الى تنادياها ان تلعب هي الأخرى دورها في هذه التجربة . وعلى اي من الحالات فسان الحضارة تظل بمثابة الدلالة الروحية والثقافية التي تطبع بها عدة اجيال عالمها المحيط بها كما تتطبع هي ذاتها بتلك الدلالة الروحية (حيث ان هذه الاجيال تعتبر

على ازمة ما نعانيتها في حقبة حاضرة يكونها اشد واقسى مما سبقها من الازمات التي يعرفها المؤرخون .

على انه ليس في مقدورنا ان نتعرف بواسطة منحني معد سلفا لمجرى التاريخ عما اذا كان احساسنا المعاصر بشدة الازمة التي نعانيتها في ظل الحضارة الغربية يعتمد على اساس من الحقائق الموضوعية او لا . كما/لانه لا يتأتى لنا

اصدار حكم علمي الى حد ما على هدي مسببق هذا (الاحساس) ان لم نلجأ الى تحليل البناء الداخلي للحضارة والوقوف على مفاصل حركتها، ثم نطبق بعد ذلك هذه « الصورة السدائية » او هذا « التفهم الجديد » على الوضع الحضاري الحالي . اما الاتجاه الذي نضفيه — نحن البشر — على حركة التاريخ فينتوقف بالدرجة الاولى على ارادة المستقبل التي تحلنا على جناحيها . ورغم ذلك ، فنحن لا ننكر انه تبعاً لتوزيع القوى على نحو معين يمكن التنبؤ بما سيحدث حتى في المستقبل . الا ان الطاقة التي تحمل « نزوعنا » في التحرك الى الامام تلعب دورها هي الأخرى في هذا المجال . واين وجد « النزوع » فلا مناص من بزوغ « الوجوب » في اي صورة كانت . ولعله من الحدير بنا ان نلقي الضوء هنا على ظاهرة هامة ، الا وهي ان بعض الفوضى والاضطراب قد اصاب ذلك « الكيان العام الحي » (ذلك ان كل حضارة هي عبارة عن نتاج للحياة الروحية يعلو على مستوى الافراد



فالفلاسفة الذين يأخذون بنظرية القيمة يحدوثنا
عن « الصراع بين القيم » ، ذلك الصراع الذي
لا يمكن تفاديه ، والذي يؤدي — لو اخذنا به على
العكس من النظرية الهيجلية — الى افتراض
تعمير الكل لخطر بالغة . فلو حدث ان كبت
قيم معينة ، على الرغم من الاهمية الكبرى للدور
الذي تلعبه في تحقيق الحياة البشرية ، فانه
يقترب على ذلك حدوث توتر حاد ، ولا يلبث الكل
ان ينهار .

ان الحضارة الانسانية في جميع حالاتها لا تعدو ان
تكون تجربة تتفاعل مع العلاقات اللامتغيرة في العالم ،
كما تراعي في نفس الوقت القوانين المتعلقة بتكوينها
الخاص . ففي مجال الاداء البشري يصدق على الدوام
قانون الاثارة الجالبة غير المرغوب فيها حيث لقبه
« فونت » بقانون عدم تجانس الاهداف . ونحن نفصل
ان ندعوه هنا بقانون عدم تجانس التأثيرات . وكمثال
على هذا نجد ان قانون المجالات الخاصة بالكيان العام
(الذي يسمو على الفرد) داخل اطار الكل الحضاري ،
لا يلبث ان يصطدم على نحو لا يمكن توقعه سلفا بالوكل
الذين ينضون تحت لوائه ، او بمعبارة اخرى بالافراد
الذين يحملون الحضارة وتحملهم . وهكذا يحدث هنا
مثلا حدث في قصة « جوت » الشهيرة للساحر الصغير
عندما استطاع بادئته السحرية ان يسيطر على القوى
الخفية ويجند لها لخدمته بينما نسي المسادة اللازمة
لطرد لها . اي انه بذلك قد اصبح — هو نفسه — بمثابة
الحلقة الضعيفة في سلسلة المؤثرات ، وهكذا تتبدل
القدرة النافعة الى معاناة مؤلمة .

ان الموضع المعرض للخطر في كل حضارة هو
ذلك الذي يكمن في العلاقة بين القوى التي تملو
على الفرد وتزداد تكاثفا على مر الايام
(الموضوعيات) والافراد الذين يعيشون فيها
جنباً الى جنب . فعلى هؤلاء الافراد ان يتحولوا
عقب الماضي الذي لا يزال اثره يتدفق في الحاضر ،
حتى لو كانوا لا يرون جدوى سوى في « بعض »
ما خلفه ذلك الماضي . وهنا تتغير المعادلة السابقة
نكرها والتي تقول بان حاصل الحضارة محمول
فيها بنفس الوقت ، عن تلك العلاقة ذات
التناقض الظاهري بين القوى الفكرية (المدعمة
تاريخيا) والافراد الممارسين لها . ذلك ان الاطار
الضخم للحضارة يحمل هؤلاء الافراد الذين يترسب
عليهم بدورهم ان يحملوه ، بمعنى ان يستوعبوه
ويتقبلوه ويواصلوا بناءه ، والا حدث انشقاق .

بدورها موضوعا لتشكيل الاطار الحضاري . وهنا
تكن اولى علامات الخطر التي تنطوي على التعصب
والانذفاع الى جانب واحد دون سواء . الامر الذي
يترتب عليه ضعف تناسق الكل . ذلك ان الحياة في
جميع صورها عبارة عن « كل » ذي وظائف موزعة على
نحو لا يسمح لاحد الاعضاء ان يظل خائلا او مغتفرا
الى التفتية .

ولعلنا نعرف في هذا الخصوص قوانين الحياة المتعلقة
بعالم الحيوان وجسد الانسان . الا اننا لا نعرف هذه
القوانين او لا نلم بها الملم كافيا فيها يتصل بذلك الكيان
الروحي العام الذي يملو على الافراد والذي ندعوه
« الحضارة » . ومن اجل هذا فان الحضارة — كل
حضارة — لا تعدو ان تكون تجربة غير واضحة المعالم
يقوم بها جماعة من الناس . وليس في استطاعة احد
ان يتنبأ سلفا اذا كانت تلك « التجربة » قادرة على
المعيش الى امد طويل ولا . وربما تؤدي بعض الاحداث
الحضارية ذات المزايا السطحية الى خسائر فادحة
بعد مرور عدة قرون من الزمان . وقد يكون مرجع تلك
الازراء الى التركيز على جانب واحد دون سائر
الجوانب ، وهو الامر الذي نعرف نظائر له في الكائن
الحي العضوي ، الذي يؤدي اقتصره على نشاط
واحد ، الى الاضرار به .

من البديهي انه ما من كائن حي خالٍ من
الصراعات الداخلية . حتى ان هيجل قد جعل من
التناقضات والقوتورات النفسية الباطنية « جددا
ديالكتيكيا للحياة » (١) . اما نحن اليوم ، فملسنا
على استعداد لان نفهم المسألة على انها مجرد
قانون ديكالكتيكي ، تمضي تبعا له الافكار والمفاهيم
في حركة دائبة تتمشي رغم تناقضاتها الداخلية
مع وحدة الروح المطلق وصفات الله الحسنى .

(١) ينص يبدأ الحركة الديالكتيكية للحياة عند هيجل على وجود صراع
بين « الموضوع » و« نقيضه » يؤدي الى « الجامع بينهما » ثم
لا يلبث ان يصبح هذا « الجامع بينهما » موضوعا من جديد في
مقابل نقيض له وهلم جرا . ولنفوض لك نضرب مثلا بفترة
القباب (موضوع) التي تنفخ في باطن القربة (نقيضه) وينجم
عن تفاعل الاثنين طلوع الشجر ، اي « الجامع بينهما » .

الانسانية ، فان ما يقصد به على وجه التحديد هو « المجتمع » النائر على النظام الاتطاعي القديم . وقد سار منذ القرن التاسع عشر ، كل من الاتجاهين القائلين بالعلل وبالمجتمع بدا بيد وجنبا الى جنب ، حيث نجم عن اتحادهما بزوغ المجتمع الموجه على اساس علمي . وهكذا صار علم الاجتماع عالما ، كما ارتبط بانثوى فروع هذه الحركة الشمار القائل بان « الدولة في طريقها الى الاندثار » .

ولكن نبوءة هذا الشعار لم تتحقق ، واغلب الظن انها لن تتحقق في المستقبل كذلك . ولعله في مقدورنا — بعد ان نأخذ من الحيلة كفايتنا — ان نصيغ القانون الذي يفسر حركة التاريخ على النحو التالي : كلما ظهرت ضرورة القيام باعباء جديدة ضخمة تتعلق بالتوجيه الحضاري العام ، اترفعت الوظيفة القيادية التي تلقى على كاهل الدولة . في ضوء القانون السابق يمكننا كذلك ان نستوضح تاريخ الدول ذات الحكم المطلق في اوربوا منذ القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر . فقد اصبح الانتقال من الحياة الاقليمية الى العالم الفسح ضرورة ملحة في جميع المجالات . وعندها حدث العكس فيها بعد لصالح الحد من النظام الراسمالي كان لا بد من الاستعانة في هذا الصدد بالدولة . على ان هناك ظاهرة هامة للغاية الا وهي انه كلما زاد تعقد الظروف الحضارية ظهرت على مسرح الحياة السياسية اتجاهات مركزية تضع كافة السلطات في يد الدولة . والظاهر ان مهمة التوجيه الحضاري قد غدت من الصعوبة بمكان بحيث اصبحت تتطلب تركيز القوى . اما التندبات السياسية فتحتل مركز القيادة العليا وتحاول في هذا العالم المفك ان تعيد تجميع الكل من جديد . غير انه ليس في الامكان توقع اي بصبص من الامل لتحقيق هذه الجهود ان لم يفتح الباب امام جميع المذاهب على اختلافها كي تتلاقى وتتشابك . ولقد عرّف « شبنجلر » عودة وظهور الحكم التسعسي بانسه من اهم سمات العصور المتأخرة . وسواء خضع افراد الناس صاغرين لانظمة الحكم الدكتاتورية — عن طريق مساهمتهم في النشاط التوجيهي الخاص بتلك الانظمة — او قاوموها بدافع من فرديتهم ، فان الامر في كلا الحالتين يتمخض عن ازمة حضارية بالغة الحدة . فالمسألة هنا تدور حول حرية الانسان وكرامته .

ويتعد الامر ايضا لحد بعيد على كيفية فهم ابناء

وعلى كل حضارة ان تكوّن وتنشئ الانماط الفردية المناسبة لها ، وهو الامر الذي ينطوي على مهمتها التي يحتمها وضعها التاريخي ، تلك المهمة التثقيفية التي تعترف باسم « التربية والتعليم » غير انه قد يحدث في هذا المجال ان تؤدي المطالب الحضارية الى نوع من الضغط الشديد ، ذلك ان قابلية الانسان للتشكيل لها حدود لا تتعداها سواء من الناحية النفسية او الجسمية .

لم تنهيا حتى الان ، الا قليلا ، امكانية توجيه الحضارة حسب خطة موضوعة . وان كان من الثابت سلفا ان الفرد ، بصفته فردا ، لا يستطيع ان يوجه المسار الحضاري مهما عظمت عقبريته . ولكنه يستطيع ذلك في حالة واحدة ، الا وهي ان يقوم بهذه المهمة عن تكليف مسبق من اجهزة توجيهية كبرى .

وفي رأي مؤرخي العصور الوسطى ان من خصائص الحضارة الغربية في اوربوا كونها ذات بناء مزدوج القبة . فقد تقاسمت قيادتها قوى عالية كتلت اقتصادها فكرة الامبراطورية من جهة والعالم الديني ، او بعبارة ادق ، الكنيسة الرومانية من جهة اخرى ، بينما طالب كل منهما بجمالات عالية . لذا كان من الطبيعي ان يترتب على التنافس الذي لا مفر منه بين هاتين السلطتين حدوث توتر دائم . الا انه من خلال هذا التوتر نجحت ديناميكية داخلية ميزت الحضارة الغربية عن اى طراز من طراز الحكم الديني المطلق او الدول العثمانية . ومن عصر الإصلاح الاوربوي وتاميم السياسة حسب خطة موضوعة ، تبدل ازدواج القبة الى تعدد القمم . فما لبثت ان اتجهت قيادة الحضارة برمتها الى ايدي الدول . وقد ذهبت هذه الحركة في اول عهدها الى دعم الحكم الملكي ، ثم بدأت بعد ذلك في تعزيز الاتجاهات القويمة التي كانت تعمل « تحت الارض » لفترة طويلة .

والجدير بالذكر ان فكرة المطلق قد لعبت الدور القيادي في توجيه الحضارة في كلتا الحالتين ، بغض النظر عما يمكن ان تكون قد تعرضت له من مناهضة عنيفة . حتى اذا ما تطلعتنا خطوة اخرى الى الامام وجدنا ان الامر لم يتوقف على الصراع الدائر بين الكنيسة العالمية (الكاثوليكية) والدول الكبرى ، والعقائد الكنسية التي بدأت تظهر آنذاك . ذلك انه قد اعتلت مسرح الحضارة في القرن الثامن عشر ، الذي تميز بحركة الاستنارة والثورة الفرنسية ، سلطان جديدتان هما العقل العام « والمجتمع » . ولعله ليس على سبيل الصدفة المجردة ان رفعت الثورة الفرنسية ، في غمار اندفاعها ، هاتين السلطتين — العقل والكيان العام — الى مرتبة التالية . واذا كان مفهوم السلطة الاخيرة ينطوي على معنى

وإذا كان هذا المذهب يتمثل في اوضح صورة في قانون المراحل الثلاث للعالم الفرنسي « أوجست كونت » فهو لا يعترف سوى بثمار العلوم التحليلية التجميعية . ولعله قد غاب عن هذه الفلسفة (الوضعية) انها قد استبعدت بشكل حاسم قاطع ، في بدايتها التي عاصرت نداء الحرية للثورة الفرنسية ، تأمل ما للقيم والاهداف من وزن وأهمية . بينما راح الوضعيون يقصرون منهجهم في خطوته العريضة على المعرفة العلمية للوسائل الخاضعة لقانون العملية . ولقد تمكنت الحضارة الغربية من تطوير سيطرة العقل البشري على الطبيعة الى حد بعيد ، وما ترتب على ذلك من امكن توجيهها جزئيا . ولعلنا لسنا بحاجة الى العودة لمعالجة هذا الموضوع الذي قتل بحثا في العديد من المناسبات . الا اننا لا نوافق على الرأي القائل بان ما نعانيه من أزمة حضارية راهنة نابع من هذه القضية وحدها ، الا وهي « سيطرة العقل على الطبيعة » . بل حتى لو افترضنا ان « التنكيك » العقلي المذكور قد كشف عن آثاره الضارة بالجسد والنفس والروح فإلنا لا نكون — على الرغم من ذلك — قد اشرنا الى الوضع الذي يكمن فيه الداء العقلي .

ان الخطأ الأكبر في هذه التجربة الحضارية يرجع الى ان حركات المجتمع قد خضعت للتوجيه « التنكيكي » ، اي بعبارة أخرى للعقل ، ذلك العقل الذي كشف خاصيته ذات القيمة الجلية ، الا وهي القدرة على تأمل الاهداف العقلية لحياة الكل وحياة الفرد . ومن هنا صار العقل عنوانا لحرية الإنسان ، الا انه ما ان عجز العقل عن تحديد اهداف هذه الحرية حتى فقد معنى وجوده . بينما حل مكانه البحث العلمي — الذي لا يفرغ — من السببيات المجردة . فقد أصبحت المسألة هنا بلا نهاية ولكن بما معناها « اللانهاية السيئة » التي حدتنا عنها « هيجل » . والواقع ان جميع الشعوب التي اخذت بهذا الاسلوب العلمي قد صارت تخضع للاندفاع الجارف الذي يحمل تفجر الشعار القائل : ان البحث العلمي ضرورة مهمة .

ولكننا لا ندري ، او لم نعد ندري على الإطلاق ، اية غاية مثلى تلك التي تؤدي اليها ضرورة البحث العلمي . ان الامر هنا لا يعدو ان يكون على النحو الذي سبق ان فصلناه ، فنحن نفعل الكثير من الامور لمجرد انه في مقدورنا ان نفعلها . ونحن لا نتوانى عن توسيع قدراتنا بلا هوادة اذ نعتقد اننا بهذه الوسيلة سوف نحقق تقدما اصيلا .

الحضارة — اي حضارة — لجوهر وجودهم . فهم اذا ما تخلوا عن وضع هدف لحياتهم اعتقادا منهم انه لا جدوى هناك من النزوع الذاتي ما دام ان المصير سيتلقفهم سواء شاءوا ام ابوا ، فانه من المحتل ان يضيي الجهاز الحضاري لفترة ما بدرجة يمكن احتياها ، بل وربما اتى ببعض المكاسب الظاهرية المتواضعة ، الا ان المعنى والهدف في حياة الفرد وحياة الكل يكون قد تهدد من جذوره . لذا فانه من المهم ان نكتشف عن الموضوع الذي انبعث منه هذا الاتجاه الفكري ، ولعله يظهر جليا في المذاهب الفلسفية ، ما دام ان هذه المذاهب تقوم — حسب طبيعتها — بدور القيادة الفكرية . وهي تلعب هذا الدور بصفة خاصة في عصر تفكده الفكرة القاتلة بتوجيه المجتمع عن طريق العلم . اما العقائد الفلسفية فلا تلبث ان تنتقل تدريجيا من محيط الطبقة المفكرة في المجتمع الى وعي ابسط العامة وابعدهم عن امور الفكر . ومن الطبيعي ان تزول العلل والمسببات في هذه المرحلة الاخيرة ، اذ يفكر « الإنسان » على هذا النحو لانه الاسلوب « الشائع » لفهم الامور .

لقد طرا التحول الرئيسي على الفلسفة الغربية في اللحظة التي اعترف فيها بشرعية احد واجبهما دون الواجب الاخر . فعلى الفلسفة من جهة ان تصالح وتكبل الارث العقائدي الديني ، وان تخلص — من جهة اخرى — المعارف المستقاة من بحوث مختلف العلوم داخل اطار نظري اوسع واشمل . وهكذا فان الفلسفة تصبح في الحالة الاولى مبحثا لما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا) ، وفي الحالة الثانية « تجميعا » للمعارف المستقاة من التجارب . على انه لا يمكن التنبؤ سلفا فيها اذا كانت حفرتا التقف اللتان تبدآن هنا من طرفين عاكسين سوف تؤديان الى الالتقاء معا وتكوين صورة كاملة المعالم عن العالم . ومهما كان الامر فانه لا مجال هناك للشك في ان الكشف عن « القيم » التي تخضع لها الحياة البشرية من مهمات ما وراء الطبيعة . فان نوع القيم التي تؤمن بها امر يتعلق بالمعتقد ، بل على الرغم من المحاولات الحديثة لتعميم نظريات قيم تتوزع فيها سلفا صفة الثبات والصحة ، الا ان هذه النظريات لن تصبح ابدا من الامور المعرفية الخالصة ، وسبب ذلك ان وجهات النظر القيمية تتطلب طلاقة « المثابرة » اذ انه لا تنكي هنا بداهة الادراك المعرفي .

لقد اعلن الاتجاه العلمي المدعو بالمذهب الوضعي رفضه للدين والميتافيزيقا باعتبارهما من الصيغ البالية لتفسير الكون .

بقية شكري شعشاعة

العريق واحترامه بقوله :

ليس في الدنيا صنيع
كصنيع الامهات
تشرف الام على الموت
لتأتي بالحياة
انها قلب سخي
قد تنامي في الهبات
فاذكروها ايها الابناء
فوق الذكريات
اكرموها في الحياة
وارحوها في الممات
ولم يخل شعر شبابه من الحب والتعبير عن صوابه
ولهاته الحلو . ومن شعره هذا نذكر :

ليت الحبيب يرى فصول روايتي
في ما احس من الهوى واعاني
هفو فيرجعني العفاف مؤنبا
فاعود من وجدي الى نراتي
واقل اخفق بين قلبي والنهي
لا تعجبا : ضدان يختصمان
هذا يذوب صباة ، ويضج
بالشكوى ، وهذا آخذ بغناتي
وانا اميش على مرارات الهوى
وصفي روجي غافلا يلقتني

.....

هذه الوان من شعر شكري شعشاعة ، وليس فيها
كلها لون يخطف الابصار ببريقه او يخلب الاسماع
بجلجلته ورنينه . ان شعره كله من النوع الذي يخاطبك
بتؤدة دون اضطرام ولا لعلعة .

ومثل شعره كذلك نثره في « ذكريات » وفي « طريق
الزمان » . اما « ذكريات » فباتك تحس وانت تقرأ بانك
مع « ايام » طه حسين ، كما تحس وانت تقرأ « في طريق
الزمان » بانك تعيش مع طه حسين كذلك في « المعذبون
في الارض » : الجزالة في الصياغة ، مع التاني في
الحديث والنعمية في السخرية ، واللفظ في لمس
المآسي الانسانية ، والبراعة في النقد والنظرات
الاجتماعية .

ولست اريد ان اختم هذا الحديث الخاطف دون ان
اشير بالتقدير لفضل الاستاذ البدوي المثلث صديق
شعشاعة وصفيه ، الذي انصفه من دنياه ، وكريم
ذكراه بكتابه عنه الذي جعل عنوانه « شكري شعشاعة »
الانسان الاديب « وقد استفدنا من كتابه هذا في هذا
الحديث .

والواقع اننا لا نلث بواسطة هذا الاسلوب ان
نقع في شبكة السببيات ، وهي عاقبة تحرر نظام
الوسائل من التوجيه عن طريق اهداف تجعل له
معنى ودلالة .

اما انهيار الحضارة ، فلا يبدأ ببدء انهيار العمر
العلم ، بل هو يملن عن نفسه مقدما من خلال الاسلوب
الفردى في الحياة ، الذي ينتشر في كافة المراحل الاخيرة
من تاريخ الحضارة . وبها سلك الفرد في هذه الاونة
حياة كلها نظام واعتدال ، فانه لا يعاوده الاحساس
بالشراكة في مسؤولية « الكل » . نحن نعلم تماما ما
يتطلبه الفرد ، كما اننا نشعر بالمسؤوليات التي علينا
ان نحملها في نطاق عملنا . ولكن هذا لا يكفي ، اذ على
الفرد ان يتعلم ماهية ضمير الحضارة ومسؤولياتها .
وينجم هذا الاستطراد بصورة مباشرة عن الفكرة
القائلة بان على كل شخصية حرة ان تحمل حضارتها
وبالتالي ايضا دولتها . ولقد خاض اجدادنا هذه
التجربة ، اما الان فلا بد لنا من المحافظة على المعنى
العريق الذي تنطوي عليه . على ان تحقيق ذلك امر
لا علاقة له « بالتكنيك » (ويقصد بالتكنيك هنا مجموعة
الاجراءات التي تضع الطبيعة بعد تغييرها في خدمة
الافراض البشرية بناء على المعرفة الدقيقة بقوانين
الطبيعة . ولا نعني هنا بالتكنيك قواعد الفن وأصوله
حسب المعنى الشائع في الاوساط المثقفة في العالم
العربي) . اذ لا يمكن في هذا الصدد ان يقدم اروع
فكر هندسي اية معونة . فالمسألة هنا لا تتعلق بحصول
الوسائل والاكتنيات وانما بقيم الوجود . وان كافة
الوسائل هي نسبية ، اي انها منسوبة الى المصلحة
منها ، وهذا الهدف محدد سلفا . اما نوعية الاهداف
التي نضعها لانفسنا ، فهي التي تقرر نفع او ضرر
« التكنيك » . ولكن المسألة متوقفة في نهاية الامر على
نوعية الاهداف التي يتعين علينا ان نضعها نصب
اعيننا . فان الصلة بالطلق لا تبدأ الا بعد ان يشق
هذا الوعى طريقه من جديد الى عالم الظهور . ونحن
نعني بعبارة « المطلق » هذه ، المنع الذي يصدر عنه
المعنى الاساسي للوجود ، حيث تدعوه لغة الدين :

لله .
وما من احد يستطيع ان يتنبا من الان فيما اذا
كانت القيم الاخلاقية المتصلة « بارادة » الحضارة
ستسود قبل فوات الاوان او بعده ، فكل ما نستطيع ان
نفعله هو التحذير . وان الهزات العنيفة التي خلفتها
اخر التطورات التكنيكية في صدور الناس ونفوسهم
لتنسحق منا كل الاهتمام ، اذ يجب على النفوس ان
تفتح من جديد للصوت الالهي ، وعلينا ان « نريد » عن
عزيمة حقة مصممة . اما نجاح كافة الالهي والريغبات
فقابل في راحة يد عليا ...

مدرسة في العنبر

ان كنت قد وصفت كل شيء كما حدث ام لم
افعل ، فان الحقيقة تبقى اكثر رهبة وابعد
وحشية من كل ما ذكرت ، شيء احس به ولا
املك وسيلة التعبير عنه ، لا اعتقد ان شيئا مثله
حدث في العالم ، في اي مكان من العالم ... اريد
ان انسى ، ان افترض ما كان وكأنه لم يكن ،
ان امحو وجوده حتى لا المن بلادي وامرغ
جبهتها ، غير اني رايتها بعيني ، رايت كل شيء،
لم يكن ذلك كابوسا ، بل حياة عشتها .

فاليري تاريس

ترجمة : سليم سالم

الحق قد رفتم

— ليس في مقدورك ان تتف هكذا ، انك روسي ،
ولكن النظام ليس كذلك ، كل ما في الامر انك تخشى
الاعتراف بهذا امام نفسك ، ولكن الا تدرك ما حولك ؟
انك لست مربوطا بهذا النظام او اليه ، انت منسلخ
عنه ، تنساب بعيدا ، تدفعك الريح ، وهناك في الافق
بوانر عاصفة ، انها عاصفة هائلة .
لكن ليس لي القدرة على
التفكير او على المجابهة .. انك تعرفين كيف اشعر ،
دعينا من هذا الحديث الان .

ليديا كيزياك ، الطبيبة المسؤولة عن القسم كانت
امراة لا يدل مظهرها على عمرها ، ولكن لا مجال للخطأ
في ان تصرفاتها تدل على انها تقوم بمهام البوليس .
وهناك رجل اخر يقوم بعمل بوليسي مماثل الا انه وضع
في مركز اعلى ، هو البروفسور شتاين ، رجل متعجرف ،
سبىء الخلق ، مكروه من جميع نزلاء المصح . وغالبية
الموظفين والاطباء من نفس طراز شتاين كيزياك زوج
ليديا .

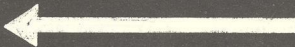
بين الشواذ في ذاك المصح البروفسور نفزسكي ،
كبير مستشاري وزارة الصحة ، والدكتورة « زوييا

الحياة تنقضي بسرعة ، تكدس بشاعة فوق بشاعة
ووحشية فوق وحشية ، تفضن الجباه وتحيل شعور
الفودين الى شيب ابيض ... هذا ما يخيفني ويرعبني ،
ان الزمن يجردنا مما نملك ، انه يعربنا ، هذا ما قلته
ذات مساء وانا اتحدث الى « زوييا مافوغا » بعد ان
هدأت ضجة النهار وانسل الليل يحمل الكابوس المزعج
والقلق وفسحة تكفي وتزيد للتفكير وما كنت افسدها
الخطوات في ممرات مستشفى المجانين .

تطلعت الى برعب وقلق ، كما لو كان في الجو ما
يوحي بالنقطة الا انها عاجزة عن اجبار نفسها على
تقبلها ، واخيرا قالت :
— تقدر ان تثق بي !

— اعرف ، اني دائم التفكير في الاشياء التي حدثتني
عنها ليل نهار ، ولا استطيع النوم في الليل .
— اني مسرورة لذلك ، ان الروح الروسية لا تزال
تتوقد فيك ، هناك كثيرون مثلنا ، اتعرف ؟ يجب ان
تقف الى جانب بعضنا ،

— كلا كلا ، ليس كذلك ، لا استطيع ان اكون الى
جانبكم ، اني لست اثرا ، في وقت قريب سأخضع ،
واحتي رقبتني واصبح عبدا مطيعا .



مدرسة الحقد

مفسيه وعقليه وهم الدين لا يعرفون معنى كلمة نفس .
قال البروفسور نفزسكي لصديق له فرنسي في باريس
— هو رينيه غيلارد — العالم النفسي المعروف :

— لقد أخبرتهم في وزارة الصحة في موسكو انك
تتجنب استخدام الادوية والمقاتير ، وان مساعديك
ممنوعون من التحدث عن المرض — اي مرض — وان
المرضى في المستشفى الذي تشرف عليه يمارسون
قذرا كبيرا من الحرية . وانهم بانفسهم يرتبون
مواعيدهم ، وانهم احرار في دخول او مغادرة المصح ،
في اي وقت يشاؤون ... وقلت لهم ايضا انك تسمح
لمرضاك ومريضاتك بالانفراد لانك تعتبر ان الحب علاج
نفسى ناجح ، وان في مستشفياتنا يطبق نظام السجون
بينما في سجونكم يطبق ما هو اكل واكبل الى نظام
المستشفيات ، وان اطباغنا يتصرفون كالجائنين
فيلوحون بالمفاتيح او يعلقونها في احزمهم ... لكنهم
لم يصدقوا كلمة واحدة مما قلت .
ورد العالم الفرنسي :

— وهكذا تظنون مصريين على استعمال « حبوب
السعادة » !

— تماما ، حبوب السعادة ، انداكسين وامينودين
وغيرها من الحبوب التي يظن اطباؤنا ان سر العالم
فيها .

— والنتيجة تكون حتما كل شيء الا السعادة ،
تلف الذاكرة ، او ضعف البصر ، وضعف القدرة
الجنسية والبلادة واللابلاية ، هل رجالكم يعتقدون
ان هذه هي عوارض السعادة ؟
— لم لا ؟ ما دام ذلك يناسب اسايانا ، يناسبهم الا
تكون لنا ذاكرة ، كلما كان حفظنا من الذاكرة اقل ، كنا
اسرع الى نسيان انعالهم معنا ، وكلما كنا اقرب الى
العمى كلما وجدنا محيطنا اقل فنتة وسحرا ، البلادة
تناسبهم تماما ، لان البليدين لا يثيرون ولا يحتاجون ،
حتى مجرد الاحتجاج ولا يضعون المؤامرات ، اما
اضعاف القدرة الجنسية فهذا امر لا يدعو الى الاهتمام ،
انه ليس بالحادث السيء ، ما دام الطعام قليلا والبيوت
لا تكفي لايواء الناس حاليا ... ان هدف مجتمعتنا ان
يحول الانسان الى روبوت ، الى انسان آلي ، لاعصب
فيه ولا روح ولا عقل .

مضت سنة كاملة على هذا الحديث في باريس ، دون
ان يصل الى المسؤولين تقرير عنه ، ولا سمع به اطباء
المصح الذين كانت تكفي ابتسامة عميقة من البروفسور
لتصرفهم عن اي شيء .

لم تكن لديه عائلة ، وليس له اصديق ، الا انه في
الآونة الأخيرة قد بدأ يلحظ زويا ماخوفا ويهتم بها .
عمرها ٢٩ سنة ، ومظهرها يدل على انها متعجرفة
مع انها ليست كذلك . كل شخص يعتقد انها قاسية

ماخوفا « نائية رئيسة القسم .
نفزسكي ، رجل انيس المظهر ، انيق ، طويل القامة
في الرابعة والسبعين من العمر ، ويتبع بشهرة عالمية
كخبير اخصائي في علم النفس العلاجي وقد قضي له ان
يحضر مؤتمرات دولية كثيرة في الخارج ، وادارة المصح
— هنا — تستشير فقط في الحالات الصعبة التي يجد
الاطباء استحالة معالجتها بمقار الامينودين ، كالعادة .
والبروفسور نفزسكي يعرف العلاج الصحيح لاولئك
التزلاء — المرضى — لكنه يعرف ايضا ان ذلك العلاج
مستحيل في الظروف الحالية .

وهو يعتقد انه لن السخف بكان ان يطلق اسم
« جنون الاضطهاد » على حالة عقلية لانسان امضى
الاربعين سنة الأخيرة وهو يعاني من اضطهاد واتسع
عليه وعلى الآخرين ، او شاهد اباه او اخوته يقتلون
بالرصاص كالبهائم او يوتون في معسكرات العمل ...
يجب ان نتوقف حالا عن اضطهاد اولئك الذكن كل
ذنبهم انهم لا يكونون للنظام القائم ما يكفي من الاعجاب ،
لقد حان الوقت ليمح اولئك الناس الحرية ، حرية
التحرك ليبدؤوا من جديد ، لان استمرار بقائهم على هذا
الوضع في جنة الاتحاد السوفييتي يهدد الكثيرين ان
يصل بهم الى الجنون او الانتحار .

نزلاء المصح يرددون اشاعة بان نصف سكان موسكو
تقريبا قد مروا في حين او اخر على عتبات الانقباء
النفسائين ، هناك حوالي ١٧٠٠٠ شخص مريض
« عقليا » يستقبلهم مصح فيلا كاتشكوف سنويا . وهذا
المصح واحد من عدة مصحات . مصح « دويني » الذي
يقع في ضواحي المدينة ضم ذات مرة ٢٠٠٠٠ نزيرل
مرة واحدة ، واشاعات اخرى ان الارب المتقتلين
السياسيين تجمعهم اسوار مصح اخر في تازان .
كان البروفسور نفزسكي يبذل جهده في ناحيتين ،
الاولى ان يتأكد من ان العلاج او المقاتير التي تعطى
لل فرد هي نافعة ، او غير ضارة على الاقل ، ثم الثانية ،
وهي ان يطلق سراحه بعد اشهر قليلة بدعوى انه
شفي .

لقد كانت مكانته العلمية ومركزه الكبير بحيث لا
يجرؤ احد على الوقوف في وجهه او السؤال عن دوافعه
لهذا العمل او ذاك ، يضاف الى ذلك السؤال المبهم
... ماذا سيؤولون في اوروبا ... كلا ، لا نريد فضائح
اكثر مما حصل .

ان يهمل المسؤولون رأيا داخليا او امرا يتعلق بالوضع
الداخلي شيء وان توصف هذه البلاد بالبربرية في
الخارج شيء اخر . كيف يمكن ان يعالجوا امراضا

وتابعت زويا تقول :

— الذي اعرفه بنفسى كطبيبة وكاتسنان ، انه يستحيل لشعب باكله ان يفكر بنفس الخط والاتجاه وان يشعر شعورا مقلوبا كانه واحد ، لا اعتقد ان هذا النوع من الاجماع السياسي — الاخلاقي يمكن ان يوجد في اي مكان من العالم الا في اذهان وتصورات المكتبيين المتفائلين .

نعرف ان بيننا وفي مجتمعنا اناس من الموهوبين ، خاصة في صفوف الفتيات والكتاب ، يرفضون مفاهيمنا ومقاييسنا الاخلاقية والجمالية والايديولوجية وكثيرون منهم ينتهون الى الجنون او الانتحار كنتيجة لتصرفنا معهم ، ونحن كأطباء نعتبر مثل هؤلاء النوايع مجانين ومعتوهين او برجوازيين ، اننا لا نعتبر الكاتب او الشاعر الغربي مجنونا . بل نبتع انفسنا بنفسه مع اننا نعرف ان اراءه معاكسة لارائنا . فلماذا حين نجد معارضا ايديولوجيا داخل حدود الوطن نخفيه داخل جدران — او اسوار — الصبح العقلي ؟

وحين توقفت زويا عن الكلام كان جو الغرفة مشحونا بالتوتر ، وقد احمرت وجنتا ليديا غضبا ، وعاد الطبيب المجوز يقول :

— ماذا تقترحين ان نفعل يا زويا ؟
— علينا ان نتيح له السفر الى الخارج ليعالج هناك ، الى اي بلد يختاره هو ، والى مدة محدودة .
وسرخت ليديا :

— واذا لم يرجع ؟
— ذلك شأنه هو ، في كل بلد ديموقراطي ، حتى في روسيا القيصرية ، كان الناس يسافرون الى الخارج دون ان يضغفروا الى طلب الاذن .
وهزت ليديا كتفيها تقول :

— هذا اكثر مما يمكن ان يحدث .
وعادت زويا الى الحديث دون ان تتطلع الى ليديا :

— في رأيي اننا نتصرف كالجرمين مع « المازوف » ومع كثيرين غيره ممن لا يشكون من شيء ، بغض النظر عن الاسباب الاخرى .

وتائر البروفيسور نرفسكي لاول مرة منذ سنوات ، زويا في مثل سن حفيدته ، وقد احزنه انه تركها تتكلم فاندفعت الى هذا الحد الخطير .

— نعم ، نعم ، ولكلك تعرفين كما اعرف يا عزيزتي ان هذا احتمال غير عملي ، ان زوجك هو اول من سيثيره هذا الاقتراح ، ولو تقدمت بمثل هذا الاقتراح لنظرت اليه الوزارة كحماقة ، انك تعرفين ان كل رحلة

ومعتدة بنفسها ولا تتحمل المعارضة ، الا انها في الحقيقة كانت امرأة يعذبها عجزها عن تحمل لا انسانية الحياة ، او عن الانسحاب منها ، لانها عاطفية جدا ، وتحب كل الناس على اختلاف مصائرهم ، وقد تنازلت عن سعادتها الشخصية .

زوها اسمها بابادجان ، وهو طبيب ايضا ، مغرور الى حد كبير لم يرزقا باطفال لانه يصصر على ان انجاب الاطفال يعيق عن خدمة البلاد وعن خدمة العلم ، ودائما يقول ان البقاء دون انجاب اطفال امر طبيعي ، واستطاع حسب هذا المنطق ، وهو لم يبلغ الاربعين بعد ، ان يشغل منصب معاون الوزير وان يتولّى الاشراف على كافة مصحات الامراض العقلية في طول البلاد وعرضها .

وكانت زويا تحب عملها ، وتعبد العلوم ويمزقها ان ترى الانظمة الميتة تحل مكان العلاج الصحيح ، ولكن اكثر ما كان يؤلمها هو شعورها بان المرضى لا يتقنون بها ، وبدون الثقة لا يمكن ان ينجح علاج ، بل لا يمكن لها ان تشخص المرض .

.....

اصيب البروفيسور نرفسكي بالذهول لسلوك « زويا ماخوفا » . كان في القسم ٣٩ يفحص المرضى ، والمرضى الاول اسمها مكارا سلافنكوف لكنه بعد ان انتهى منه واعاده الى الجناح ، التفت الى ليديا رئيسة القسم يستطلع راياها ، فقالت :

— انه يعاني وكما اعتقد ، من الشيزوفرانيا ، انه مجنون كبير يعتقد نفسه شاعرا يشار اليه من بعيد ، لانه يكتب اشعارا ضد السوفييت ، حالته توجب القلق ، يبدو انه اختلط في الماضي كثيرا مع شباب ستيلياغاسي (الخنافس الروس) فاداروا راسه .

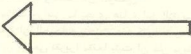
— هل قرأت شيئا من شعره ؟
— كلا ولكنني فهمت كما قيل انها اشعار سخيفة .
وابتسم البروفيسور وقال موجها الكلام الى ليديا :

— بماعدنك تبدو وكأنها تريد ان تناقشك — هذا الرأي ،

التفت الى زويا ثم تابع يقول :

— فهل تريدان ان نقولي شيئا ؟ انك تحبين النقاش ، هكذا قالوا عنك في الوزارة ، وهذا صيكت هناك .

— لا اعرف ... وكان وجهها متجهها ... كل الذي اعرفه اني لا اتفق مع ليديا في نظرتها التقليدية الى هذه الحالة ، لا يمكن ان تعالج حالة ببرد او رشع اعتيادية اذا كانت نظرتك تركز على السير التقليدي ، ان سلافنكوف رجل موهوب ، اذا كانت اشعاره لا تنسجم مع الطراز الشائع (هذا اذا كانت لا توجد مثل هذه القياسات في الادب والفن) فليست هذه غلطته بل سوء حظه .



مدرسة الحق

حقا . والا فاننا سوف نجد انفسنا في وضع لا يبعث على السرور او الارتياح .
وردت ليديا :
— أخشى ان لا استطيع !
— لماذا ؟

— لان الحقيقة انه عاقل تماما .
— تعرفين اننا تلقينا استفسارا من اللجنة المركزية للحزب ، ويجب ان تجدي مخرجا .
كانت ليديا تفكر بسرعة ، وقد كرست تفكيرها للخطا التي اعتزمت ان تنفذها ، الوضع في المعبر يدعو الى القلق ، المعبر رقم « ٧ » اصبح نواة الاضطراب والمشاكل وكافة المتاعب ، والحل الوحيد هو في توزيع النزلاء على الاجنحة والمصحات الاخرى ، لكن زويا ماخوفا لن توافق على هذا الرأي ... يجب على الاقل انقاص عدد نزلاء هذا المعبر .

في تلك الليلة مات احد نزلاء المعبر رقم « ٧ » منتحرا ، لقد شققت نفسه كما جرت العادة في كل حوادث الانتحار السابقة ، داخل المرحاض ولم يعثر على جثته الا في الصباح الباكر .
وقالت زويا ماخوفا لالمازوف الذي استدعته :

— لا يهم ماذا كان رايك ، يكفي ان روح روسيا لا تزال تتوقد فيك ، لقد عاد البروفيسور بنفسه من الخارج ويقول انه ترا علك كثيرا وان كثيرين سألوه عنك ، انه يسم الان على وجوب اطلاق سراحك بسرعة ، ولم يجد بابادجان بدا من الموافقة ، وبقيت المشكلة الموهمة ، علي ان اشخص مرضا فيك بيرر ابتداء من هنا كل الدة السابقة وفيه ما يوحي انك شفيت لنبرر خروجك الان .

علي ان اكتب اي شيء والا فان ليديا كيزياك ستواجه متاعب كثيرة من المسؤولين قد توصلها الى المحاكمة .

— اكتب ما تشاءين ، ضعي اي شيء ما دمت انك لن تكتبي اثني مجنون .

— طبعاً ، طبعاً ، لقد فكرت بشيء مثل تكلس الشرايين الذي يرهق الاعصاب ، ما رايك ؟ كن مستعدا لتفاد هذا المكان في اي يوم بعد الان .

— ساكون مستعدا لكل شيء .

— اعتقد ان آخرين من المعبر رقم « ٧ » سوف يطلق سراحهم ايضا ، ان بابادجان قلق جدا من وضع هذا المعبر .

— يجب ان يكون هكذا ، ان يوما سوف يأتي يكون فيه المعبر رقم « ٧ » مقر القيادة في معركتنا من اجل الحرية ، اجراسنا بدأت تترق على الفسدة الاخرى ، ولا اعتقد ان الساعة بعيدة حتى تترق الاجراس هنا .

الى الخارج يصدق فيها من قبل مجلس الوزراء ، وان اخراج المال من البلاد وترك اشخاص نعرف انهم لن يعيدوا ، ينادرون الوطن هو عمل اشبه بان تلقى بانفسنا بين ايدي رجال الدعاية عند اعدائنا .

— ولكننا اطباء ، لسنا من الاوباش ، انظر كيف اننا نسيء الى انفسنا في الوطن ونضع — مع ذلك — انفسنا في ايدي دعاة اعدائنا حين نحجز اناسا عقلاء تماما في مصحات الامراض العقلية .

.....

وكتب المازوف في دفتر يومياته :

— في الصحف الاميركية تظهر المقالة عني في اثر المقالة ، والبوليس مضايق يعتقد انهم اذا رشوني يتدرون على اتفاني بالعودة الى الوطن ، ولم تقبل عقولهم الجادة بعد اني قد سافرت الى الايد واني الان دوهم ، لم يستطيعوا ان يتقبلوا فكرة اني لم اعد اعزل غير مسلح ، بل طاقة مشحونة بالحق ، ان المعبر رقم « ٧ » هو جامعة الحق والكراهية ، ان عشرات الخريجين منه سيشكلون الانما بعد تخرجهم لينشروا الحق .

في شهر اكتوبر كان الطقس رطباً ، خائفاً ، والاشجار تتعري من اوراقها وكل شيء يبدو حزينا كئيبا هزيل العود ... والاطباء والممرضات في المصح على اكمل اقدامهم يعملون ليل نهار ، لان في ذلك الشهر يبدأ موسم العمل التقليدي لكافة مصحات الامراض العقلية في روسيا .

الاف « المرضى » يساقون الى المصحات في الايام القليلة التي تسبق احتفالات الثورة ، ولا مكان لهم فينابون على الارض وفي المبرات وعلى الطاولات ، حتى في مكاتب الاطباء وغرف العيادة ، انهم العناصر التي لا تنق السلطة بها في المدينة ، ويسمونهم عناصر اطلاق الراحة ، ولا احد يامن ان يتسلل واحد من هذه العناصر غير المأبونة في حشد من الناس فيهتف ضد الشيوعية ، كذلك السكر يحتجز الى جانب من يخشى ان ينشر شائعة او يتحدث عن ارتفاع الاسعار .

رجت ليديا كيزياك ان تنقل الى قسم آخر ، وتوقع الجميع ان تحل زويا ماخوفا مسؤولة عن استعادة النظام في القسم ٣٩ ، وقال بابادجان بجفاء ان الوقت غير مناسب لتفقات واسعة بين الموظفين :

— ابق مكانك وراقبي ما يجري هنا ، اين التقرير عن المازوف ؟ ان الصحافة تتحدث عنه كثيرا ، ومن مسؤوليتك ان تضعي تقريراً مقتنعا يثبت ان كان مريضا

ليس ماكسيم غوركي بالكاتب الذي يحتاج الى التعريف وهو الذي ملأ سمع الأدب وبصره بما أعطى من آثار كانت لها هزائنها في المجتمع .

وهو الذي رثاه « رومان رولان » بهذه الكلمة البليغة حين وقف على قبره : لئن كان شاعر الطليان « دانتي » زار الجحيم وحده ، وخرج منه وحده ، فان ماكسيم غوركي دخل الجحيم وحده ، ولم يخرج منه حتى اخرج الملايين معه من الجحيم . وفي هذا اشارة الى ما تركه أدب هذا الكاتب من اثر خطير في تحطيم المجتمع القديم ، وتدمير امتيازاته التي كانت خاصة بأهل الجاه والأسرة والثروة .

وفي الحق ان « غوركي » ابني من قوة التدمير باندفاع فكره وبيانه ما لم يؤته ادب من قبل . وعنه يقول « تشيكوف » : « ان غوركي رجل مدبر ، لا بد له ان يدبر كل ما يستحق التدمير .. وهذا هو ممكن قوته ، ومن أجل ذلك استعدته الحياة » .

لقد عاش غوركي في الجحيم ، وفتح عينيه على الجحيم ، وقامى من آلام الحياة ما ترك ميسمه في نفسه وتفكيره ، فكانت الحياة — منذ انطلاقة الأولى — تجربة قاسية له . وهو لا ينسى يوم كان في الثامنة من عمره ، عندما رأى زوج امه ينهال بالضرب على امه التي كان السل ينهش من صدرها الحنايا والضلوع ، والتي لم يكن بها من الرمم ما يمكنها من الدفاع عن نفسها ، وقد تكأكت وتقرس ظهرها ، تضرع الى الله ان يعث اليها ملاك الموت منقذاً رحيماً بن جحيم البشر ..

لقد حفر هذا المنظر البشع في نفسه اثرا لا يمحي .. ولكن هل كانت تلك الحياة البائسة قاصرة على البيت الذي كان يؤوى ذلك الطفل ؟ في الحق ان وطنه الكبير كان مثل هذا البيت في يومه وشقائه ..

عند ذلك ، طلب هذا الطفل ملجأ لنفسه في عرض هذه الأرض ، وراح هائما على وجهه ، يضرب هنا وهناك ، لا يدري اين يسير ، واين يستقر .. مرة مارس العمل في مهمة شاقة ، ومرة صاحب القلاحين في حرارة الأرض ، ومرة واكب المتعطلين المشردين الذين لا يجدون قوت يومهم ، ولا مبيت لهم .. وهو في كل هذا ، يتعمق احساسه بالبوؤس والشقاء ..

لقد ظن — في البدء — انه وحده محروم



الضبط

مترجمة بأربعة فصول للطايب الروسي
ماكسيم غوركي

ترجمة : عبد الحليم البشراوي
مشرورات مكتبة الفنون الدرامية

بقلم : خليل هندراوي

وتلفظ المرأة انفاسها الاخيرة وسط هذا الخليط ، فيقول احدهم : « انها ماتت » ويقول آخر : « انها كفت عن السعال اخيرا » ، ويقول آخر : « خير لها ان تموت » . « من أجل اي شيء تعيش ؟ » الامر سواء بالنسبة الينا جميعاً ، تولد ، ونقضي حياتنا ثم نموت ، فلماذا نأسى لاحد ؟ ، « بينما يصبح آخر من اقصى الغرفة بزوجها :

— لا بد ان نخرجها من هنا ! لا يمكن ان يبقى هنا أموات ، هنا بنام الاحياء ! فلا يعجب الرجل التقي من قسوة هؤلاء الرجال اذ كيف نستطيع ان نرتي للموت اذا كنا لا نرتي للاحياء ، بل نحن لا نرتي حتى لانفسنا ، فما بالك بالموت ؟

نسمع هذا كله ، بينما نرى زوجها . « كليش » ملك عليه الاضطراب ، لا لفقده زوجته . بل لانه لا يملك من النقود ما يستطيع دفعها به ، ولذلك لم يجد رافقه حلاً للمشكلة الا باقراضه بعض المال ، ليستطيع دفن زوجته !

هذا وجه واحد من أوجه المسرحية .. وهناك وجه آخر هو وجه ذلك البارون الذي لا يدري احد على وجه التحقيق من هو ، ومن اين جاء .. ولكننا نراه الآن يعاشر تلك الفتاة العاهر ، الطيبة القلب ، المتعطفة للحب ، ويعيش عالة عليها . وهي فتاة أذفا الفقر ، واستعبادها الحاجة . لا تجد العمل ، ولا تجد القوت . وكأنما هذا البارون لا يزال يعيش بالورثة ، يمتص دم الآخرين ، ويتترع القفصة من اشداقهم الجائعة .. ولكن هذا البارون أصبح بدون انياب ، يهر دون ان يقدر على العض ، ولذلك يطلب اليه الاخرون ان يكسب القليل بيديه ، بل يطلب اليه احدهم ان يركع على طرف ارجله . وان يبيع كالكلب .. فتراه يترد ذكرياته ، ويستعيد ايام عزه عتياً . فيعزبه الرجل التقي :

— « بأننا هنا متساوون .. نحن بشر ، مهما يكن مظهرنا ، مهما نتظاهر او نخادع . ولدنسا بشرا ، وسنموت بشرا ، الناس يزدادون حكمة ، ويزداد امرهم بغيثاً على الاهتمام بشأنهم . وكلما سامت حياتهم ازدادوا رغبة في تحسين حياتهم .. جنس عنيد ، هؤلاء البشر ! »

الزم ضروريات الحياة ، باسم الشعب المهضوم الجناح ، المهضوم الحقوق الذي كسان يستغيب فلا يثاق ، ويستعين فلا يعان .

في المسرحية عشرة اشخاص يعيشون كلهم معا في غرفة كئيبة مظلمة تحت الارض ، عشرة اشخاص من المتبوزين . أو ممن يسمون « حثالة المجتمع » خليط غريب من اسفل الطبقات التي كانت تؤلف الغالبية العظمى للشعب الروسي في ذلك الحين .

ومن بين هؤلاء العشرة امرأة محتضرها الموت . بعد ان نهش السل صدرها ، فهي تحس اختناقاً في صدرها وتطلب الهواء ..

بينما الاخرون غارقون في صخبهم وجدلهم الفارغ ، وفجأة يدخل على هذه المجموعة زائر جديد ، لكنه من نوع آخر ، هو رجل تقي ، زاهد يفهم الحياة بواقعتها من وجهه آخر .. هذا هو « لوكا » الذي يشفق على هذه المرأة البائسة ، فلا يجد علاجاً عنده

يغيرها به الا ان يزرع في نفسها الامل في الحياة الآخرة حيث يغفر الله الجادة ذنوبهم ويعوضهم عما قاسوه في الحياة الدنيا .. والى ذلك يمي الناس بالمستقبل . ويغضهم على المحبة والعاون والحيثية .

انما نصف لـ حياتها :
لم أكل ابداً الى حد الشبع .. كنت دائماً أأعد كل كسرة خبز أكلمها .. كنت دائماً أرعد من الخوف خضبة ان أكل أكثر مما يأكل الشخص الآخر .. لم اليس ابداً الا اخلق البالية ، لماذا ؟

اسأل نفسي دائماً ، يارب ! هل يستمر هذا العذاب في الآخرة ايضاً ؟ هناك ايضاً .. فيحييها :

— لا .. ان تعذبني هناك . نامي في سلام سنستريحين ! هناك كل الراحة ، عليك بمزيد من الصبر ! علينا جميعاً بالصبر ! كل على طريقته .. لا تفقدي الأمل ! ستومتين الآن .. ويكون كل شيء هادئاً آمناً . ان تمجي ما تخشيه بعد الآن . ان الموت رحيم بنا ، الموت يمحو كل الفضون ، ولذلك يقولون عنه انه راحة ابدية .

وعندما تعودها محبة الحياة ، يتسم قاللا :

— لماذا يا عزيزتي ؟ التعذبني من جديد ؟

شقي من دون سائر الناس ، فاذ هو لا يرى — حيث بطاً — الا بشرا يسامون الخسف والفران ، ويعيشون عيشة ، خير منها عيشة البهائم والكلاب .. كان يرى بشراً يعيشون وهم عاجزون عن ان يدركوا الحكمة من حياتهم ، وكان يرى النساء تهان ، وتضرب وتضطر الى العمل ساعات طويلاً للتفرغ بقصة العيش ، وعلى الصعيد الثاني كان طغيان القياصرة وزبائنتهم شديد الوطأة لا يترأخي له قيد ، يسود مجتمعاتهم التهلك والاستهتار والرشوة والغش والبدخ والسق والميسر والتساق ..

قصور وبساتين لا يدرك البصر مدهاها واستمتاع كل اطباء الحياة ولذاتها وانغماس في شهواتها ، مزارع وضياح شامعة يربها السعيد الحظ ، فيرت الارض ومن عليها ، يرث « رقيق الارض » الذين ان هم فروا من استعباد المالك لا ينجون من يقبلهم للعمل في مزارعه ، والملايين الضائعة لا تصير لها ولا معين ، والجماهير الجالعة لا رجاء لها ولا أمل ، ينور الشعب فيجهد في الرصاص ، ويقتال قيصر فيخلفه قيصر آخر تحميه الحراب ..

وهكذا تمر الحياة ، بل هكذا يدور الجحيم على من فيه ، لينهم من فيه !!

من هذا الجحيم استمد غوركي مسرحية « الحضيض » .. وهو حضيض لم يستمده الكاتب من قراءاته ، ولا من افكاره المجردة ولا من مشاهداته الضيقة ، وانما هو حضيض عاش فيه ، وخبره ، وبلاه ، وذاق مرارته ونجرح غصصه ... فهو — اذا شئت — حضيض الكاتب نفسه ، الذي اخترت ذكريته مشاهدته ، وهو — اذا شئت — حضيض ذلك المجتمع نفسه . والمسرحية ، بهذا المفهوم ، تعتبر من المسرح الواقعي ، الذي ينبع من الاحساس والوجدان والقلب ، حيث لا نرى فيه الصنعة التي تلتزم أنطجة المسرحية ، والصراع والحبكة ، وما الى غير ذلك من الأصول المسرحية المتبعة ، وانا نجد صورة أو قطعا صادقا بتصوره ، من الحياة ، يعرض علينا دون تزويق أو تجميل .. واذا اردنا الحكم الدقيق قلنا ان هذه الواقعية هي صرخة من اعماق القلب باسم الملايين المحرومة من

فلا يعجب البارون مثل هذا الكلام ،
فيستألف التقي .

— هل كان حقيقة بارونا ؟ ان الانتماء الى
طبقة السادة أشبه بالاصابة بالجذري . قد
يرأسه المصاب ، ولكن آثاره تبقى ..

واما عشيقه البارون فلم تكن الانتماء
بائسة ، قد أحبها تقي ، ولكنها لم تجرؤ ان
تتبعه ، وهي الان تقاسي من كبرياء هذ
البارون الذي يستغل جمالها لنفسه .. وهو
إذا أغضبها اضطر الى مصالحتها لتعطيها
نقدًا يشرب بها .. وفي النهاية تنور على حياتها
وتقصد بمرارة :

— ولماذا ؟ لماذا استمر في الحياة هنا
معكم جميعاً ، سأرحل الى اي مكان . الى
أقصى الارض ، لو عرفتم كم سئمت كل
شيء ، كل شخص وكل شيء . وهذا
البارون المزيف ! الذي يعيش عائلة علي كما
تعيش البودة على التفاحة .

وهذا وجه ثالث يئنه « بيل » وهو
شيطان بشري ، ولص بالوراثة ، يقول عن
نفسه « منذ صغري وأنا احترف اللصوصية
لم اسمع احداً يتأديبني الا بقوله : اللص ،
أين اللص ! » قد استطاع ان يستدرج زوجة
مالك الدار الى حبه ، حتى اذا ارتوى منها
وصفها ، وبصقها الى تحتها « ناناشا » الانصر
شباباً .. ولكي يحقق غرضه فكر في الجريمة ،
في قتل الأخت .. هذه الجريمة التي شعر
بجوها الرجل التقي ، فراح ينصحه بالرحيل
الى بعيد .. ولكن الى سيبريا .. وعليه ان
يشق هناك طريقه ! ولكن بيل يردعه ، لأن
كل ما يقوله اكاذيب ..

بينما نرى العشيق الأولى تحضه على قتل
زوجها ، والتخلص من احتها المنافسة ها ..
فلا يزيد الرجل التقي الا تمسكاً باستفاد هذا
الفتي من شياكة الجريمة .. فيطلب اليه بلطاح :
— ابعد عن هذه المرأة ! هي ستخلص
من زوجها هذا بدون مساعدتك ! لا تصغ
اليها ! لا تصغ الى هذه الشيطانة ! انظر الى
رأسي ! ليس فيه شعرة وما السبب ؟ النساء !
النساء ! لقد عرفت من النساء في شباني أكثر
 مما كان في رأسي من شر .. ولكن هذه
المرأة اسوأ من رأيت ..
واذا الفتى يلين لكلامه ويقنع بحب
« ناناشا » التي يطلب اليها ان تتبعه ، وهو

الصدق ! »

وفي النهاية يعزم هذا التقي ان يلتحق
بجماعة دينية في اوكرانيا ، لأن الناس دائماً
يبحثون عن الدين .. دائماً يطلبون شيئاً أحسن .. وكل
من اشتد به الحاجة الى شيء لا يد أن يحصل
عليه . والبشر كالاراض ، فيها الخصبة
وفيهما القاحلة ، ومهما يكن نوع البذور التي
تبلرهما في الارض الخصبة ، فلا بد ان تثمر !
والطريق اليها ..

ولكن واحداً منهم ظل يدافع عنه ،
وعن افكاره :

— لم يكن العجز مزيفاً .. ما هو الحق ؟
الانسان ! هذا هو الحق .. طبعاً كان يكذب
ولكنه كان يكذب شفقة بنا .. وكثير من
الناس يكذبون شفقة باخوانهم ، ومن الكذب
ما يبعث في النفس العزاء .. ما يجعل الانسان
يقنع بنصيبه في الحياة .. بعض الناس يعيشون
على الكذب ، وبعضهم يحزنون وراءه . أما
الرجل الذي يتولى امر نفسه .. الرجل الذي
يعتمد على نفسه والذي لا يمتنع دمساء
الآخرين .. فما حاجته الى الكذب ؟ الكذب
دين الارفاة والروءاء أما الصدق فهو اله
الرجل الحر ..

سأله مرة : لماذا يعيش الناس ؟
فأجابني : يعيشون لكي يجعلوا الحياة
أفضل مما هي عليه .. كل العمال ، وكل
الفلّاحين ، بل حتى السادة ، كلهم يعيشون
ليجعلوا الحياة أفضل مما هي عليه . وكل
واحد منهم يظن ان انا اعيش لنفسه ، بينما
الواقع انه يعيش لكي يجعل الحياة أفضل ..
كل الاشياء جزء من الانسان . كل الاشياء
من أجل الانسان . الانسان وحده هو الكائن
وكل ما عداه هو من صنع يديه ، ما أروع
الانسان ! ما أشد ما في رئين هذه الكلمة من
كبرياء ! الانسان ! لا بد ان يكون الانسان
موضع احترام لا موضع شفقة . لان الشفقة
مهينة ..

هذه الفكرة .. فكرة الايمان بالانسان ،
فكرة الايمان بان الحياة تسير نحو الأفضل
هي التي تمكك على جيو المسرحية بالرغم من
اشخاصها المنحطين ..

يعدّها بان يكف عن السرقة ، وان كان
يعتقد بان هناك من يسرقون أكثر منه ، وهم
الاشراف .. ومع ذلك لا يأسف هو على
شيء ، ولا يؤمن بالصبر ، وانما يؤمن بشيء
واحد ، هو ان هذه ليست معيشة ، ولا بد
للرجل ان يعيش عيشة تجعله يحترم نفسه ،
فلنأت معه !!

ولكن مجرى الحوادث لا يحقق هذه
الخطّة ، لأن الأخت تعلم بما توبه احتها ،
فتسد عليها المسالك ، وتسعى الى التصديق على
عشيقها ، بتحريض زوجها عليه ، فإذا
العشيق يضرب الزوج ضربة قاضية ، فيصبح
جانيباً ، والزوجة تصبح : « هذا هو الرجل
الذي قتل زوجي » وبهم يقتل الرجل
ولكنه لا يتمكن ، وينتهي الامر به الى
السجن . أما « ناناشا » فقد اختفت ، وذهبت
دون ان تترك أثراً ..

وفي الحق ان الوجه المتحرك — في هذه
المسرحية — وراء افكارها هو الرجل التقي
الزاهد — لوكا — الذي نزل القبول بفلسفة
جديدة شغل اهل القبول كلهم .. وهو يفضل
حركته وفكائه ، يتحدث مع الكل ،
ويحرك ضماير الكل ..

فهو حين يدخل متوكفاً على عصاه يبادر
الجميع : « بان يحترم الصالحين كما يحترم
الطغيان » ، وأكثر ما يسمعه منهم تلك المرأة
التي ماتت بين يديه ، وهو يعزها ، وعطف
عنها الأمما بما بعدّها في السماء ! وفلسفته
قائمة على الابتعاد عن المرأة ، وهو في الوقت
نفسه شديد الاشفاق على شقاتها . وهو يدعو
الى ان يكون الرجل رقيقاً معها ، لان الانسان
لن يصبره ان يكون لطيفاً مع الناس .

ولكن ماذا تجدي هذه الفلسفة ازاء
اشخاص كتمروا بكل شيء . فهلسة الذي
يتساءل : « لماذا يجب ان يكون عنده ضمير
والاغتياب وحدهم هم الذين يحتاجون
الى شرف وضمير ؟ » وذلك يتساءل : « أي
صدق ؟ هذا هو الصدق . لا عسل ! لا قوة !
هذا هو الصدق . لا مأموى ، ولا سقف
املكه . لا شيء الا ان أموت كالكلب ..
ما حاجتي الى صدقك ؟ كل ما اريد هو ان
تتاح لي فرصة التنفس .. ان انتفض حيا ..
اريد ان تتاح لي الفرصة لاعيش . دنيا لعينة ؟
انهم لا يتركونك تعيش .. وهذا هو

يوسف ادريس : رحلة إلى

الاستقرار



مكة عن الكلي ، ولست ادري امن الممكن الزعم بتلمذته على تشيخوف .. لكن الذي لا شك فيه هو ان يوسف ادريس ذا الثقافة الواسعة قد تعرف على تراث تشيخوف » .

« ان يوسف ادريس في بداية ابداعه الفني ، وكلنا نقة بان المستقبل سيحمل لنا من هذا الفنان الموهوب العديد من المؤلفات الرائعة المفعمة بالحب الحار للناس » .

ويلاحظ من النص السابق ان اخر ما اطلع عليه ناجيين ليوسف ادريس حتى كتابته المقدمة ، هو مسرحية اللحظة الحرجة التي صدرت سنة ١٩٥٧ . وقد ثبت ايضا انه اطلع على رواية الحرام التي تنتهي لنفس الفترة الفكرية .

وفي عدد ابريل (٦١) السنة ١٩٦٦ ، من مجلة الكاتب المسجل عليها ان يوسف ادريس هو احد اعضاء مجلس تحريرها ، كتب بهاء طاهر تسع صفحات كاملة عن « مهزلة النقاد الغير الارضية » دفاعا عن يوسف ادريس حيث يقول : « يستطيع الدكتور يوسف ادريس ان يقول بحق انه كاتب لا يكرر نفسه وانها بفاجيء جمهوره دائما باعماله الجديدة ، فبعد ان ثبت الدكتور يوسف ادريس اقدمه كواحد من اكبر كتاب القصة عندنا ، ان لم يكن اكبرهم على الاطلاق ، اتجه الى المسرح ، وبعد ان قيمه الرواد كواحد من رواد المذهب الواقعي وجنوده المخلصين ، تخلى عن هذا المذهب ليجرب قلمه متجردا

في عدد فبراير سنة ١٩٦٥ من مجلة الكاتب التي يشترك يوسف ادريس في مجلس تحريرها ، كان هناك مقال مترجم عن الروسية كتبه القصاص السوفياتي الفدوري ناجيين عن يوسف ادريس كمقدمة لمجموعة من القصص القصيرة صدرت في الاتحاد السوفياتي له .. قال ناجيين في هذه المقدمة : « ان يوسف ادريس عاش في مجتمع استغلالي برجوازي وهو كفنان اضيق وشريف يكشف النقاب بجراحة عن مساوئ هذا المجتمع .. فخر الجاهل واستبداد السلطة .. وقسوة ونفاق راس المال .. وهو الى جانب ذلك ابن لشعبه الذي تحرر من السيطرة الاستعمارية وطرد من بلاده الاجانب الدخلاء الذين استنزفوا ثروته .. وفي يوسف ادريس اعتزاز وطني كبير لم يمنعه لحسن الحظ من رؤية الحياة الداخلية لبلاده ، وجدير بالإشارة ان انتاج يوسف ادريس قد اتبع بالذات في سنوات النضال الطائر لشعب سوريا ومصر ضد الغزاة . ففي هذه الفترة تنابعت كتبه واحدا اثر اخر .. ارض لبالي جمهورية فرحات .. اليس كذلك قصة حب ، ومسرحية اللحظة الحرجة ، وكاي فنان كبير نرى يوسف ادريس فريد الطابع ، فهو لا يشبه احدا من الكتاب الاحباب الذين نعرفهم وربما كان ادريس قريب التشبه بكتابنا العظيم تشيخوف ، ففي قصصه يتزاوج المضحك بالحرز والفناني الشفاف بالقاسي وهو كتشيخوف قليل الكلمات بعيد عن الاسهاب في الوصف يميل من خلال احد التفاصيل الى اعطائنا

القلق

بقلم : صلاح الملا

لكن لماذا يهاجم النقاد اولا يوسف ادريس ، بالرغم من انهم كما يقول الاخ بهاء طاهر : « والطريف في الامر ان هؤلاء المعارضين يبدؤون بان يشيروا الى ان الدكتور يوسف هو من الملع كتابنا ولكنهم يتكلمون عن اعماله الماضية ثم يعتبرون كل عمل جديد له سقطة جديدة » . لماذا قال هؤلاء النقاد ؟

كتب الأستاذ محمود امين العالم تعليقه على مسرحية الفراير في مجلة المحصور يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٦٤ : « وعندما يشغلي الدكتور يوسف ادريس بالبحث عن حل لهذه القضية ، قضية تحقيق الحرية الفردية المطلقة فانه في الحقيقة يورطنا في مفهوم سلبي للحرية . . ليس هو المفهوم الانساني الاجتماعي الواقعي الحقيقي للحرية . لقد عرض الدكتور يوسف لقضية الحرية باعتبارها مجرد علاقة بين سيد ورفرور وارتفع بالتجريد المطلق عن تأمل طبيعة هذه العلاقة ، مكتفيا بشكلها الخارجي وحسابية هذا الشكل . . ثم طالب بحل القضية ، والقضية في الحقيقة ليست قضية شكل هذه العلاقة ، وانما هو مضمون هذه العلاقة ، هل هي علاقة استغلال واستعباد ام علاقة مشاركة وبناء ؟ . . فارق بين رفرور في النظام العبودي ورفرور في النظام الاقطاعي ورفرور في النظام الرأسمالي ورفرور في النظام الاشتراكي . . حقا . . هناك دائما على حد تعبير المسرحية نفسها « فراير واسيد » ، « عساكر وشاويشية » ، « جماعة ومسؤول » والقضية ليست في شكل هذه العلاقة وانما

من المذهب الواقعي ومن اي مذهبية على الإطلاق ، وكانت النتيجة في كل الاحوال ، اعمالا فنية تثير اعنف الجدل ما بين التأييد الحماسي والرفض المطلق ، الا انه لما كانت قائمة الراكضين (!) تضم انصار الواقعية الملتزمة من ناحية ، وانصار الفن للفن من ناحية اخرى ، وخصوم الغاية والتجريبية من ناحية ثالثة ، فقد اصبح هناك نوع من المعارضة الشاملة للدكتور ادريس . والطريف في الامر ان كل هؤلاء المعارضين يبدؤون بان يشيروا الى ان الدكتور يوسف هو الملع كتابنا ولكنهم يتكلمون عن اعماله الماضية ثم يعتبرون كل عمل جديد له سقطة جديدة ، والاسباب تختلف بطبيعة الحال من كاتب الى اخر ، ولعل هذا الموقف هو سر المرارة التي يشعر بها الدكتور يوسف ادريس من النقاد ، وعذري ان له كل الحق في ان يشعر بها .

ومن الجائز طبعاً ان يكون الدكتور يوسف ادريس قد شكر بهاء طاهر لمقالته هذه . لكننا . ولاننا لم نفهم بعد تسع صفحات من الكلام الكثير ما ينفي كلام النقاد . ويؤكد كلام يوسف ادريس . فاننا نزيح جانباً مقالة بهاء طاهر الرائعة لنفعل الشيء الوحيد المعقول الذي طالب به بهاء طاهر وهو « ان كل اعمال الدكتور يوسف ادريس الاخرة ما زالت تنتظر التقييم الموضوعي الحقيقي » .

وليس هذا البحث تقييماً ليوسف ادريس بقدر ما هو محاولة لفهم الخط الذي سار عليه . ابتداء من ارضس ليالي حتى « لغة الاي آي » .

يوسف ادريس: رحلة الى القلق

هؤلاء الذين كتب عنهم وبجراه ايضا ناجيين .. يقول
« ولكن ليس نبغي الفهم من ذلك ان ادريس على نمط
واحد وتشاؤمي يبدد احلام ابطاله راميا بهم الى الفشل،
فهكذا كان يمكن ان يكتب انسان متشائم من الحياة
تباها ، اما ادريس فهو عميق الثقة بشعبه ، ولذلك فان
ادبه مفعم بالتفاؤل ، فاذا كان عبد المال قد ظفر بسعادة
موهومة ، فان رحلة شبراوي غير الموفقة قد اقترنت
بظفر اخر ، اذ اكتشف في نفسه ينبوعا من الطيبة » .

وفي هذه الفترة كانت الرؤيا واضحة تباها اسم
يوسف ادريس .. ربما لم تكن بالعمق الذي يطلبه هو
كفنان ذكي ، وربما لو طلب منه مراسل في جريدة التاييز
الندننية مثلا ان يبدي رايه في هذه الفترة لاعلن انه ضد
هذا الانتاج لانه محدد الرؤيا وتحديد الرؤيا ليس عيبا ،
لكن العيب هو عدم عمق الرؤيا او تسطحها فالأمل
الرخيص والبناء الضعيف ليس هو المطلوب ، المطلوب
في الفن دائما شيء اخر تباها ، الفن غناء ، ومن اجل
ذلك لا بد ان يستعمل ادوات الغناء واحساس المغني
الذي يفقد جزءا كبيرا من انسانيته ليرتفع عليها ، والا فما
هي مهمة الفن اصلا ؟ في هذه الفترة كتب يوسف ادريس
« في الليل - والمكتبة - وامينة - والشهادة - ونظرة » .
نماذج من الفرصة التي تقترب كثيرا من حدود الشعر ،
كلماتها قليلة ، قليلة جدا في بعض الاحيان لكنها حادة
قاطمة ومعنية في نفس الوقت . ولعل اهم النماذج لهذا
النوع قصتا امينة ونظرة .. في امينة مثلا (صفحتان
وتصف فقط احيا برعى على امل واحد ان يتكلم في
الظنون ، الزهر الوحيد للحضارة في القرية ، كل امله ان
يسلك بساعة التلفون ويتكلم فيه ، تجيبه الفرصة ذات
يوم وتكثور في ذهنه اشياء كثيرة وغريبة ، ويحترق ولا
يعرف ماذا يقول او ماذا يفعل ، لكنه بمجرد ان يرفع
الساعة ، يستمع الى عوالم غريبة واصوات مختلطة
ومشوشة تاتيه من بعيد ، وكان الدنيا تشتبك مما في
حديث هلامي يميزه في بعض الاحيان ولا يميزه في معظم
الوقت ، ويرتاح الى ذلك ، لكن القضية لم تنته عند هذا
الحد ، فمثل هذه التلفونات في القرى المصرية لا تتصل
الا بمركز البوليس القريب ، ولذلك فقد كان لا بد ان
يرتبك عندما يجيئه السؤال : ايوه يا ميت غنيم (اسم
القرية) .

لم يصبح برعى برعيا اذن ، لقد اصبح ميت غنيم ،
ولا يعرف بالضبط ماذا يفعل ، فيجيئه السؤال مرة اخرى
غاضبا مفرقا : ايوه يا جدد ؟
ويزداد الغضب فهو لا يدري ما يفعل بالضبط
فيواجهه الصوت شاكخا :

— ايوه يا محروقة يا ميت غنيم ؟

فلا يجد في صدره شيئا يمكن ان يهتف به الا ان
يصرخ :

مضمونها ، والدكتور يوسف جرد القضية من مضمونها
تماما واستبقى شكل هذه العلاقة فحسب بصرف النظر
عن المضمون وبهذا طمس المضمون الواقعي لمفهوم الحرية
الذي يعتبر من اخطر مفاهيمنا الثورية الجديدة » .

وكتب الدكتور لويس عوض في مجال تعليقه على
« المهزلة الراضية » : « اليوم ظهر بيننا فنان هو يوسف
ادريس ، بقوله فنيا بلغة المسرح ان مشكلة الخير والشر
تؤرق ضميره وانه يبحث لها عن حل مع الفلاسفة ، حل
نهائي ولكنه لسوء حظهم نحننا اختلط عليه الفن والفلسفة
فراى رؤية مشوشة تشبه رؤية من انهكت اعصابه
البصرية خمر كدرة من خمر الفن وخمر الفكر .. اما هذا
الحل النهائي الذي انتهى اليه يوسف ادريس في المهزلة
الراضية ، فهو ان الخير ليس له وجود حقيقي في العالم ،
وان الخير ان وجد فهو موجود في الظاهر فقط ، لان
الشر هو اس الكون ، وما دامت هذه حقيقة مقررة ،
فليس هناك مخرج ينهي هذا الفارق الا ان نلبس جميعا
قميص المجانين نهرب من هذه اللحظة الفظيعة ، وقد
بلغ من قبول يوسف ادريس لفساد الحياة انه اصبح
لا يرى الشر الشامل مأساة ، بل مصدر فكاهة يمكن ان
يتفكه بها الانسان » . ثم يكتب صفحة كئيبة من اللحق
الادبي للارهام يحل فيها هذه المسرحية مثلا كتب عن
الفرافير . اذن فهذان الناقدان هما اكثر تقادنا احتراما
وتعقبا بالثقة ، علما باننا ليس بينهما وبين يوسف ادريس
دم سائح او خلافه ، حتى بقوا بحيلة شدة مثلا ملأ
يصور الاخ بهاء . لكن الامر على العكس تباها لانها
يعتزان به فانها يقولان له هذه الايام ان ما تفعله خطأ
بالرغم من كل ذلكاكت .

ولو فرض مثلا واردنا ان نقسم تطور يوسف
ادريس حتى هذه اللحظة ، الى مراحل ، فيمكننا ، مع
مراعاة الظروف الاجتماعية التي كتبت هذه الاعمال
خلالها ، ان نقسم تطور يوسف ادريس حتى الان الى :
اولا : مرحلة الاستقرار ويثقلها كل انتاجه قبل الفرافير .
ثانيا : مرحلة الفرافير وتمثلها الفرافير .

ثالثا : مرحلة ما بعد الفرافير (المهزلة الراضية والاي آي)
ونسقصر كلامنا هذه المرة على فترة الاستقرار .
في هذه الفترة كتب يوسف ادريس من القصص القصيرة
مجموعة « ارض ليالي » وكتب من المسرحيات « اللحظة
الحرجة » وغيرها ، وهذه الفترة هي التي كان يتكلم عنها
ناجيين ، وبناء عليها اصدر كلمة في صالحه ، كان
يوسف ادريس كما يقول الاخ بهاء طاهر من رواد المذهب
الواقعي وجنوده الخلمسين ملتزما بقضايا الناس ، كل

— يلعن .. يلعن ابوك يا مركز .

« قالها ورعى السباعية بقوة وهو يحس بكل ارتياح ثم انتدع الى الخارج كالريح » .

سنضحك كثيرا جدا في الغالب من بساطة هذا الانسان ومن نفاخته ، لكن يتبقى ابدا بعد ذلك ، السؤال لماذا لم يجد برعي في كل كلمات اللغة العربية الا ان يلعن المركز .

وهكذا الامر ايضا في قصة « نظرة » التي لا يزيد حجمها عن صفحة واحدة فقط وعشرة اسطر لا غير ، خادبة صغيرة يستقر فوق راسها جبل اكثر من ثقلها نفسها ، بالتاكيد صينية بطاطس قرن ووفق هذه الصينية حوض واسع من الصاج مغطى بالفطائر المخبوزة وهي راجعة به من القرن العمومي الى البيت لا يحوي داخلها الا الخوف من سيدتها ، سواء من التأخير او من ان يسقط شيء ، لكن الحمل ثقيل على راسها . كانت عربية تدهمني وانا اسرع لانقاذها، حين وصلت كان كل شيء على ما يرام والحوض والصينية في اتم اعتدال اما هي فكانت واقفة في ثبات تتفرج ووجهها المنكسر الاسمر يتابع كرة من المطاط يتقاذفها اطفال في مثل حجمها واكثر منها وهم يهللون ويصرخون ويضحكون ولم تلحظني ، ولم تتوقف كثيرا ، فمن جديد راحت مخالهاها الدقيقة تمضي وقيل ان تحرف استدارت على مهل واستدار معها الحمل والفت على الكرة والاطفال تظفر طويلة . ثم ابتلعها الحارة .

لاحظ ، « وكادت عربية تدهمني » و « ثم ابتلعها الحارة » وكل الصور الفنية الاخرى الموجودة . هنا لا يكتب يوسف ادريس قصة وانها تصيد صغيرة من الغناء العذب ، لم يقل ابدا شيئا مباشرة « كايدي » بل يكتفي بتدعيمه . ويذكر الفنان يمر على احلام البنت الصغيرة ، وكأنه لم يقل شيئا ، بل ويكتب تفاصيل بعدها عن حلمها بتقصيل شديد ، لكنه يترك لنا رغم كل شيء علفا عائلا على احلام البنت الصغيرة ، التي لم يميز من كل كلماتها عندما طلب منها ان ترجع القرن العمومي وتترك جزءا من حلمها لتعود اليه مرة اخرى الا كلمة « ستي » . هناك ايضا الشهادة والمكنة وفي الليل ومشوار ، اشكال من القصة القصيرة لها شكل ومضمون الاغنية المنعبة ، لكن الامر طبعيا لم يكن يخلو من قصص تحتوي على ما يمكن ان يسميه النقاد الامل الرخيص او البسيط مثل قصة الحادث مثلا فكل مضمون القصة يتلخص في ان امرأة ريفية وزوجها جاء الى القاهرة بكل سمات الريفيين المنغلغلين ، الذين تمثل لهم القاهرة عالما غريبا ، وعندما يأخذ الرجل زوجته لتري النيل لأول مرة في حياتها يريان طفلا نظيفا لا يزيد عمره عن اربع سنوات يجذف وحده في مركب صغير وسط النيل ، وعلى السطلى امة وابوه يتحدثان معا ، وتتصور المرأة الامر على انه حادث

خطر وتصرخ ، لكن الناس من حولها تطمنها الى انه لا حادث ولا يحزنون « ويمصص شرسه القنوب بصوت مسموع ثم يتنهذ وينساب في حلم يقظان جميل ، فيرى محمدا (ابن الرجل) راكبا ذات يوم قارباً وحده عابرا النيل في ملابس بيضاء نظيفة ، وقد استوى شعره ولع واحمر وجهه وايض وهو غير خائف من الماء ، ولا يتقم وزنا للبحر العريض » .

ومن هذه التهاذج الضعيفة ايضا قصة اسمها « الحوض » ليس فيها شيء بتاتا الا مقارنة بين جنائني بلغ من العمر سبعين عاما بزرع الياسمين في قصر اغطاعي تافه لا يدري ماذا يفعل بيومه او لماذا يستيقظ من النوم . وتجنيه فكرة ان ينزل من سريره الى الحديقة ليعمل فيها ، وينفذ فكرته ظلما غزا نابليون النمسا مثلا ، لكن الامر ينتهي بمأساة مضحكة للغاية ، فقد تصور الرجل بعد عشرين خبطة بالفأس انه قد اصيب بالذبحة الصدرية ، ولا شيء بتاتا بالطبع هناك ، ويعلق يوسف ادريس خارجيا « وعاد من فوراه (الجانبى) الى حوض الياسمين وشمر عن ساعديه ووضع ذيل قميصه في فتحة الصدرى ويصق في يده وامسك بالفأس وقال بصوته الراحف وهو يرفهها .. هه .. قال بهوات قال .. امال احنا ما بتخدناش الذبحة ليه ؟ دا زمان الواحد اتدبح وشبع دبح .. وهوى بالفأس في ضربة قوية مزقت الارض » .

من كل هذا يتضح ان يوسف ادريس كان محدد الرؤيا نيليا كان يعرف بالفضبط بالذى يطلبه ليكتب عنه ، وهذه همة الفنان في الحقيقة ، وتبلغ اقصى مراحل الرؤيا التي تعمق مع نوه .. فإذمة يوسف ادريس كانت دائما احساسه مثل اى فنان حقيقي بانه يطعم في شيء كثير ، يريد العمق . اقول ان اقصى مراحل عمق الرؤيا المحددة الملزمة يتضح من هذا الديالوج بين فردوس وزوجها مسعد في مسرحية اللحظة الحرجة ص ٢٢ ، ٢٣ طبعة الكتاب الفضي :

فردوس : مش بتوكل شراية خرج ، حد منهم يقول زي انت ما بتقول .. كل واحد يقول يالله نفسي ، وانت اللي عامل لي جدع وكلنا سوا ، والحكاية كانت بتشتغل هنا مرمطون وانا جوزي ما يتقاسي مرمطون .

مسعد : المرمطون ده يا بعيدة هو اللي يشتغل لاغراب ، انا بشتغل لمن لاخويا عشان يخلص علام ، لاختي عشان تجوز فيها ايه ده .

فردوس : فيها انك صايح وحتفضل صايح كده ، وبكره اخوك يبقى مهندس وخلف ولاد ، يبقوا اولاد الباشمهندس ويتجوز واحدة تبقى الست وانت ولادك يبقوا اولاد المرمطون ومراك تبقى هي الخدامة .

مسعد : اهو اكلاك ده كلام خدامين ، دانت فوقت

يوسف ادريس : رحلة الى القلوب

بفكرة ولهدف محدد مقدما من الكاتب .
وهناك نقطة اخرى اشار اليها تاجيبين في معرض حديثه عن يوسف ادريس خاصة بتلمذته على تشيخوف واسلوب كل منهما .

من الواضح طبعاً ان يوسف ادريس متأثر بـ ادنى شك بتشخيخوف ، الذي كان طبيباً ايضاً مثل يوسف ادريس ، لكن لا يمكن الشك في انه شخصية مختلف تماماً عن تشيخوف ، هو يوسف ادريس ، اما من ناحية الاسلوب فالامر يختلف ايضاً ، فانت مع يوسف ادريس تفقته كثيراً وبصوت عالٍ ، في الوقت الذي يذبر لك فيه مقالباً غظيماً ، بالنسبة لتشخيخوف الامر مختلف قليلاً انت لا تضحك ، اقصى ما تفعله هو ان تبسم وتشمرب باحساس غريب بالحزن والتعاطف والتناقض بتركك لكك لتفقه ابداً . عند تشيخوف ، عندما تنتهي من قراءة قصة أو مشاهدة مسرحية أو قراءتها ، تتركها فترة لا تدري ماذا تفعل ، تظل تسأل نفسك لماذا يصاب الناس بالجنون أو لماذا يموتون مثلاً ، اما يوسف ادريس فالنتيجة واضحة محددة ، وعموماً فكل ذلك ناتج عن اختلاف الظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها كل منهما .

كان هذا هو الحال مع يوسف ادريس حتى اللحظة الحرجة والحرام ، يحوي كثيراً جداً من الفن ، كثيراً جداً من الحساسية ، كثيراً جداً من الذكاء ، وقليلاً جداً من القلق ، ولا شيء بئناً من التشتت ، هذا القلق الذي يعانيه يوسف ادريس الان غير القلق الذي يحيا به اي فنان فناناً ، انه قلق من نوع آخر ، لكن هل يستمر الى على ذلك ، الواضح ان الفهر لم يستمر في نفس اتجاهه ، بل انقلب ابداءاً ، والقضية ليست كما يقول الاخ بهاء طاهر ان يجرب كل الاساليب والالوان ، فليست الكلمات رداً ترتديه وتخلعه عندما تريد ، لكنها مسؤولية وقبيل . وحياتة قبل اي شيء آخر . . واذا كانت القضية هي تجرب اي لون ، فلماذا يموت الناس ويسجنون من أجل ؟ يعتقدونه . . المشكلة التي اعتقد ان يوسف ادريس كان يعايتها هي احساسه بأنه يمكن ان يصنع شيئاً ضخماً شيئاً هائلاً وهذا طبعاً صحيح ، لكنه وسط هذا الاحساس ظهر تحدده في ثوب معين يمنعه من الحركة في اي اتجاه ، وقد نبغ الخطأ من هنا ، هو يعلم ونحن نعلم معه ان انتاجه حتى ما قبل الفرافير كان به كثير جداً من البساطة ، لكن ذلك لا يعني ابداء التناقض ، فالخط هو في ان يوسف ادريس يدفعه احساسه برغبته في عمل شيء كبير ، ويربطه هذا الاحساس بالالتزام ، فلنا من انه لو مزج ادبه بالميتافيزيقيا لاكتسب العمق المطلوب ، واعتقد خطأ بان الميتافيزيقيا تتناقض مع الالتزام . وهذا ما فعله الى كتابة الفرافير ثم المهزلة الأرضية من بعدها ، وهذا هو موضوع الحلقات المقبلة .

الواحد بكمليك دول ، يا بت هو ضروري الواحد يبقى قبطان عشان يبقى كويس ، ما انا كويس كده ، انا مبسوط كده ، اخويا مبسوط انه حبيبي مهندس ، انا مبسوط اللي انا اللي يساعد عشان يبقى مهندس . **فردوس :** وحينوك ايه ، وحينوكي ايه م المساعدة دي؟ **مسعد :** يتونا ايه ، هو ضروري الواحد يتوبه حاجة عشان يتبسّط ، كتابه اتي باذي من غير مأخذ ، فكرت انت لو مرة تعليمها بعقلك وتدي من غير ما تاخذي مش حستليها ابداً . .

فردوس : مش اسلاها ابداً ، الا كده لسانك معايا زي البرد ، ومعاهم ولا تقدر تقول تلت التلاته كم . يا ابو الهول احنا لازم نشوف لنا مسكن لوحدا ، فتح بقي وفوق ، دانا وقمعي منيله قوي . .

ومسعد هذا كان فرغورا حقيقياً ، فرغورا ايام كان يوسف ادريس هو نفسه فرغورا ايضاً وربما كان هذا النص هو اخطر نص كتبه يوسف ادريس على الإطلاق فهو مثلاً موضوع مسرحيتين كاملتين له ، هيا الفرافير والمهزلة الأرضية ، والنص يستبد اهميته من انه يتناقض جزئياً مع هاتين المسرحيتين تماماً ، وهذا هو الغريب . يمثل مرحلة متقدمة عنها جداً ، وعلى العموم سنعود اليه مرة أخرى عندما نناقش ما بعد مرحلة الفردوس .

وبالإضافة الى كل ذلك فقد كان يوسف ادريس يملك الوقت والذهن الذي يكتب به اغنيات سلام (ص ٦٣ من اللحظة الحرجة — الكتاب الفضي حديثنا عن مسعد) وكان يحس ايضاً بالإضافة الى افكاره التي يختلف مستواها الفني من قصة لأخرى بحاجة الى اسلوب خاص به ، او بمعنى آخر كان يحاول اصطلاح اسلوب مصري في الكتابة ، كان يحاول جعل الكلمات العادية للحديث لغة فنية في الكتابة — مثلاً : « وينفلت عبد المغني الى عيك وعدور بائع السرددين الذي نظره شيش بيثش والذي يمر دائماً على التحدث بالناطق والحجج والقانون وعلى فلسفة كل ما يدور حوله في البلد من حداثات وبعد المغني كان حين يغمز وعدور لا يخلو غواذه من بعض الحقد فقد كان الناس يضحكون لفلسفة وعدور الساذجة أكثر من ضحكهم لنكات عبد المغني المفتعلة التي يدافع بها عن نور راسه قصة الهجاة » .

فنحن لو رجعنا كلية الذي ووضعنا كلية « اللي » ورفعت الهزة من دائها واكتفينا بالياء وبعض التغييرات البسيطة الأخرى ، لاصبح السرد نفسه وليس الديالوج هو الحديث المصري العادي ، قد لا يكون مستواه الفني عالياً في بعض الحالات ، لكن مما لا شك فيه انه مكتوب



كبرياء شاعر

راضي صدوق

وَاهِمَ أَنْتَ ، لَنْ يَمُوتَ غِنَايَ
أَنَا فَوْقَ الْأَعْصَارِ وَالْأَنْشَوَاءِ
أَنَا أَقْرَى مِنَ الْجِرَاحِ ، وَأَمْضَى
مِنَ شِفَارِ الْأَلَامِ وَالْأَزْوَاجِ
فَاعْصِمِي .. بِمَا زَوَّابِعُ الشَّرِّ أَنِّي
لَا أَبَايَ بِالْفِتْوَرَةِ الرَّغْنَاءِ
زَلْزَلِي الْأَرْضَ ، لَنْ يَهُونَ فُؤَادِي
لَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ فِي أَطْوَانِي
وَأَعْرِصِي الْحَقِيذَ فِي نَرَى كُلِّ نَفْسٍ
أَنْ تَقِي تَجْبُولَةَ بِالنَّقْصَاءِ
وَإِذَا دَسَسْتَ كِبْرِيَاءَ أَنْاسٍ
لَنْ تَسْأَلَ الْأَيْتَامَ مِنْ كِبْرِيَايَ
أَنَا حَطَمْتُ كُلَّ قَيْدٍ غَنِيْدٍ
ثُمَّ حَلَقْتُ فِي مَحْطِطِ السَّمَاءِ
أَتَشُدُّ الْأَرْضَ مِنْ خُيُُونِ فُؤَادٍ
لَمْ تَدْنِكُنْ تَعْنَةَ الْبَغْضَاءِ
يَنْفُخُ النَّاسُ وَدَّةً بِأَبْنَاءِهِمْ
وَيُؤَاوِي جِرَاحَهُمْ فِي سَخَاءِ
كَلِمَاتِي قَطَعْتُ الرَّيَّانَ جِيْنِي
فَاصْ نَعْرِ بِالنَّسَمَةِ السَّمَاءِ
فَاللَّيَالِي الظَّمَاءِ فِي شَرْخِ عُمَرِي
مَنْ دُمُوعِي اسْقَيْتُهَا .. مِنْ دِمَائِي
كَمْ وَرَعْتُ الظُّلَامَ بِالْأَمَلِ الْغَضِّ
فَقَضَّاهُ تَجْوَمُهُ بِالضَّبَاءِ
وَإِذَا الْإِكْمَالُ الْغَالِيَّةُ مِنْ نَجْمِهِمْ
وَإِذَا الْجَدِيدُ عَامِرٌ بِالْعَطَاءِ
وَإِذَا الْقَلْبُ مَرَجَلٌ مِنْ قَيْدٍ
وَإِذَا الرُّوحُ شُعْلَةٌ مِنْ مَضَاءِ
أَنَا مَاضٍ فِي زَحْمَةِ الدَّرَبِ
تَقِي الْوُجُودَانَ وَالْخَيْلَاءِ
أَنْ صَوَّتًا مِنَ اللَّهِيبِ يَدُودِي
بَيْنَ جَنِيٍّ عَقَسَرِي النَّدَاءِ
صَارَحْنَا فِي الْوُجُودِ بِلَهْمِ الصَّمْتِ
وَمَجَسَّاحُ كُلِّ أَرْضٍ عَرَاءِ
لَا تَهْوِي بِمَا جَنُودُ الْكِبْرِيَاءِ
أَنَا اسْقِيكَ مِنْ طَهْوَرِ الدَّمَاءِ
مُهْجَةً حُرَّةً تَقِيضُ شَمُوعًا
وَأَبَاءُ مَا بَعْدَهُ مِنْ أَبَاءِ
أَغْضَبِي كَلِمَاتًا اسْتَبَارَكَ حَقَّةً
لَا تَهْوِي .. بِمَا جَنُودُ الْكِبْرِيَاءِ

الشيء الجديد

زاد على ذلك العدد المجهول واحد ..
انهم يتكاثرون .. كل واحد عنده
صفحة يريد ان يرويها .
— يجب ان اسرع .

ويستتصر خطواته الواسعة ..
فيسرع .. وتنفك عقدة الازار
الاحمر .. ولم يفت بل علق حبل
الصفحة في كتفه واحكم الازار
وعاد ينفخ القوة في ساقيه .. ان
الرجل لا يزال يجري امامه وتجري
معه صفحته .. الماء ..

ان باب ام سالم المقول دائما ،
تدب فيه الحركة لأول مرة .. وتطل
عبارة ام سالم السوداء وقد احاطت
بجسدها فلم تفرج الا عن يدها
المعروقة ، وقد تشبثت بصفحتها
الصغيرة ، تدفعها الى الامام وتهزها
وكأنها تطرد الهواء منها لتسع اكبر
كمية .. منطلقة وقد خلفت وراءها
غبارا ظامئا يسبقها الى حيث
ترتوي ..

— اهذه المرأة التي تموت حياء من
صوت حيوان ذكر !!!

ولم يكن لهيمسه اي اثر على
مسيرته ، فقد اصبح الجري عنده
شيئا جميلا ، ففي كل خطوة امل
يرسم له خطة .. وامل اخر جديد
.. يجري .. ويجري ..

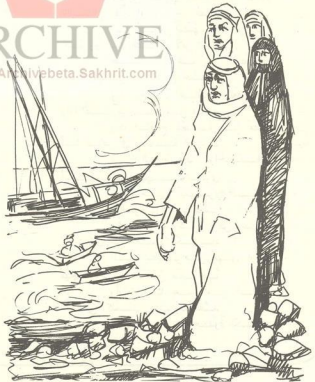
واخذت اصوات ترتفع من بيوت
لم يكن يظفر منها بهمس .. منزل
ابو علي يرتفع منه دخان ملعنا قديم
الماء .. وقدر « الباقلاء » — يوزع
ضحكات الامل المنغمة .. ها هو
يخرج ، يدفع عصاه امامه .. وقرينه
المتشجعة ترتني على كتفه وقد اغشى
عليها .. وبضاعف من سرعته اكثر
فاكثر .

لم يكن يحس الا بصفيحة الماء الظامئة تلاسي فخذة لتطلق صرخات
الجفاف فتتحرك صمت الفهار الجاف المتعفر تحت قدميه العاريتين اللتين
اختلفتا عليه ، فلم يدر ايها يقدم .. ولكنه يريد ان يخلف هذه السكة
الى التي تليها ... يجري وقد تركز امله في قطع هذه السكة التي قتله
طولها .. امل دائم يتجدد .. يجدهه صدى صوت امه المتهددج :

ويميل قليلا لشارع جديد .. منه
لاخر .. باب يفتح ويسقط رجل في
عرض الطريق ، ويضيع صوت
سقوطه وسط صراخ الصفحة ..
وبسرعة يسحبها ويجري باقصى ما
يستطيع من جرى الى حيث ترتوي .
ويضاعف احيد من سرعته فقد

— بني .. سفينة الماء هناك ..
اسرع الى هناك : ان الناس دائها
يتسابقون ..
— ولكن الناس يتقاتلون .. انهم
ظالمون .. حتى غيومنا ظامئة ..
— كتفك — يا بني — هيا سلاح
الانتصار فاذهب .. اذهب يا احيد .

ARCHIVE
-http://Archivebeta.Sakhril.com



قصة بقلم : سليمان الشطي

— هاذان اثنان يزيدان العدد المجهول ..

يجري .. الكل يحمل صفيحته .. ويلحظ من بعيد ابا سعيد بلحيته الكثة التي تشعره بالقدم دائما .. انه الوحيد الذي لم يكن يحمل صفيحة او قربة .. انه يعيش ما دام يسير بالصد .. ويحه .. سيظل بلا ماء .. طول عمره بلا ماء ..

يجري .. ويجري للشاطئ البعيد .. هناك حيث البعيد شراع ابيض يرتفع عن سطح الماء بفخر والسفينة تتهاذى بعزة قاصدة مخزن الماء لتعبد اليه معناه الذي افنقده .. ولكن الاصوات تشكو الظأء والاصابع كلها تشير ان اقبلي بمائك الى هذا السور الحجري المتمد داخل البحر يستجدي .. الزحام فوقه .. زحام .. الخطوة الواحدة عليها عشرات الاقدام تتقاتل .. زحام .. وراءهم صحراء جرداء .. وحولهم ماء كثير .. واملهم ماء قليل ..

ويشب على السور ناقضا صدره ، رافعا صفيحته فوق الرؤوس ، كل الرؤوس ، وصوت ابيه لا يزال يدوي في جوانبه :

— كنتاك هما سلاح الانتصار .. الصفيحة فوق وكل خلجة من خلجات جسمه تنقلص لتعطي كتفيه القوة ، وين وراءه ابو علي يضرب بعصاه السور ويسير محاذيا له وقد غاصت عصاه وسط الطين اللزج ، وظلت عصاه توتقع على السور ضربات منهمة .. الاصابع تشير .. الاقدام تقلب الصخور ..

ويسقط شيء .. ويرتفع رذاذ الماء .. وتطفو صفيحة يتشبث بها

ملفل يدفعها الى السور .. ويصبح : — لقد امتلات بالماء .. الماء الملح .

ولم يكن هناك من يسمع ، بل كانت الانفاس المتقطعة المنهوككة تغلف كل شيء . ويقلب الطفل صفيحته وينساب ماؤها على السور وينهمم :

— ليت هذا الماء ... ماء . ويضرب الصفيحة من قاعها فتصرخ :

— ليت هذا الماء .. ماء بدون ملح .. ولكن حتى هذا الماء المجهول على ظهر تلك السفينة قد خلطوه بالملح ..

وعاد يضربها .. ويضربها ، — يقولون ماء بدون ملح .. وهم

.. وهم بوجود الماء .. ليت ابي

يصدقني .. ويصحب صفيحته الى الشاطئ

حيث ابو علي يستلقي .. سالم تخرجه من الطين وقد فقدوا

الامل ، فليس للضعيف مكان .

الانظار كلها بعيدة تحتضن الشراع الابيض .. والاصابع كلها تشير

.. وكف احمد القوية تشق طريقة وتدفعه الى الامام ، وصفيحته لا

تزال فوق الرؤوس .. ويقترب الشراع الابيض ويزداد الزحام ..

هناك كثيرون ينفذون الى السور .. يشيرون الى الماء .. ويصبح صوت

مبحوح — : هنا .. الى هنا يا حجي صالح .

ويقف الحجي في طرف السفينة حائرا :

— ماذا ترى يا عبد اللطيف هل نتجه اليهم ؟

— انهم ظالمون يا عم .

— ولكن الماء يجب ان يوزع في مكان التوزيع .

— مصره لتلك الصفايح اينما ذهب ، ولن يكون لنا كل الفضل

حينما يوزع في مكان التوزيع . وهنا ستكون لنا عليهم يد لن ينسوها .

— اذا انت ترى ..

— ارى ان نغيثهم فالظأ قاتل .

— هذا خير لنا .. يجعل الريح ويزيده .. توكلنا .

ويضع عبد اللطيف يده على فمه ويصرخ :

— الى السور اتجأنا .. الى السور .. وتبيل السفينة المحملة

تليلا لتعود مرة ثانية للاعتدال تزيح الماء من تحتها بهوادة لتصل بالماء ..

الى الايدي .. الى الصفايح . وتنزل الاصابع الا بعضها ،

تقد اقبلت السفينة .. ولكنهم لا يزالون يتدافعون .. ويتدافعون ،

ويسقط في الماء الكثيرون .. واحمد في المقدمة ، وقد استقر في مقدمة

السور مستعدا للوثوب ، وصدره يعلو ويهبط ، وقد انفتح منخره

يطرد الهواء المتجمع بعد رحلة السور الطويلة الشاقة .. وعلى الساحل

يتحسس ابو علي قربة اليابسة التي كتب عليها ان تطول غيوبتها ، وصدى

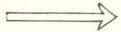
صوت قدره ينشر في اذنيه المكتظتين بالشعر .. وينظر الى ام سالم التي

اخرجته من دوامة الطين ... انه لم يرها منذ عشرين عاما .. لولا

غياب ولدها ، ولولا الماء لما خرجت .. ويتذكر ، وتنفجر شفتاه ، ويعاود

النظر اليها من عينيه اللتين لا تريان سوى صور باهتة ويهيس :

— كم احببت هذه المرأة .. كم



أحببتها .. أه .. انا دائما لا انظر
بشيء .
ونظرت اليه وقد دوى في جوانبها
همسه :

— ماذا تقول ؟
— هل تذكرين ؟
— اذكر .. اولادي يريدون ماء ..
— انا قدرى دائما ظامئ ..
— انها الحياة .. لماذا تحدثنى
بهذا الحديث وفي هذا الوقت والمساء
امل كل الناس ..
— امل كل الناس ؟ .. ومن قال
انه ليس املى انا ايضا ؟ .. ولكننا
لن نطفر بشيء منه فلا اقل من حديث
بيننا بعد عشرين عاما ..
— وهل تبقى عشرين عاما شيئا
.. لقد انتهى كل شيء ، هذه حال
الذنيا .
— دنيا تسير على جانب واحد ..
لجانب واحد .
— بل نحن الذين نسيرها ..
فلماذا .. لماذا لم نسيرها منذ عشرين
عاما .. لماذا ؟
— بل يسرها بعضنا ..
— ولماذا لم تكن من هؤلاء
البعض ؟
— لانى لا املك مؤهلاتهم ..
— ما هي مؤهلاتهم ؟ ..
— الفنى .. وانا فقير .. كم
تدغدغ هذه الكلبة حقدى .. فقير
.. فقير .. متى ينتهى زمن الفقراء
هذا .. متى ؟
— اذهب .. ابحث عن الماء ..
— لا ماء .. ابدا .. لا ماء ..
الماء يخرج منه دائما الفقراء .. لا
ماء .. وتصرخ : يا رياه .. يا
رياه ..
— ما بك ؟ .. ما بك ؟
— انظر .. انظر .. لقد
اصطدبت السفينة بالصخور ..
وتميل السفينة .. الكل يصرخ
بكلمات تضيع مع اصطدام الصفائح

بعضها ببعض .. وتميل .. ويتدفق
الماء منها ليعض وسط الماء .. وتبقى
المحراء .. وتبقى صفائح الماء
بدون ماء ..
ويتسهم الطفل ثم يتهقه ضاربا
يدا بيد ..

— لا فرق .. املاوا صفائحكم
من الماء الذي تحت السفينة .. انه
بدون مقابل .. وتتساقط الاجساد
العارية من السفينة بتتابعة تقوم
بمحاولات يائسة لانتقاذها وقد اذهلتهم
المفاجأة .. ويقف الريان في المؤخرة
وقد فقد كل ادراك حتى انه يحسب
ان كل شيء يسير طليعا ..
— ماذا .. اليس هذا الاصطدام
بالسور ، اذا وصلنا ..
ويسحب عبد الطليوب الجبال من
تحت قدميه قائلا : بل مدتها
الصخور الحامية للسور ..
— اذا لا امل في انتقاذ الماء ..

— ماء .. اي ماء .. بل قل لا
امل في انتقاذ السفينة فانها تسير
بسرعة فائقة نحو القاع المنظر ..
تصيح الريان فجأة :
اسرعوا .. انتقذوا السفينة
جاوبا انتقادها ..
ولم يكن هناك جواب سوى صوت
السفينة وهي تلتهم ماء البحر في
جوفها وسط صوت سواعد البحارة
الطائشة ..

وعلى السور كانت الصفائح
الفارغة والقلوب الجزعة .. ولم
يعد احد بحاجة لكي ينفخ صريره
او يدفغ بكاهله احدا فقد احاطته
الامل المتحطم بفراغ قاتل بيعت الملل
.. وتخاذل الزحام .. وجلس
البعض على الصخور وامامهم
صفائحهم .. ويسير جارا وراءه
صفيحته والصخور تهمل تحت
قدميه .. صخرة .. فآخرى ..
واجساد منهكة جالسة على حافتي
السور نظراتها زائغة نحو السفينة
المسجاة وبحارتها الذين ملأوا البحر
بمراوح لا جدوى منه .. ويقلب

الصخر .. صخرة .. واخرى ..
ثم اخرى ثم الطين اللزج وينظر نحو
ابى على الذي اقبل عليه وقد اطلت
علامات اسئلة على عينيه الفقيدين
.. وعاد ينظر هناك فرأى ام سالم
ولمح في عينها برقيقا جديدا .

— ما الذي جرى يعني ام سالم ؟
ويلكره ابو على بعصاء : ما الذي
جرى هناك ؟

وينأف : ما الذي جرى ؟ .. ام
تشاهده ؟

— بل ولكل شاهدته عن كتب ..
— وماذا يفيد القرب او البعد
اذا كانت النتيجة واحدة .. خسارة
.. خسارة لكل .. ويهمم ابو علي :
خسارة لكل اي نعم .. ولكنى
الوحيد الذي ظفر هذه المرة .. الامل
دائما ينتصر ..

— ماذا تقول ؟
— لا شيء .. لا شيء ..

وينظر اليه والى ام سالم .. في
قلوبهم شيء جديد .. او قديم
عادت له جدته .. ويقطع تفكيره
النائه صوت الطفل السالف الذكر
وهو لا يزال يضحك بصوته العالي.
— ارايت كيف عاد الماء لاصله ..
ان الوهم دائما ينتهى للشيء ..

ويطل ابو سعيد بلحيته المبقوطة :
لقد كان الكل يسعى للشيء ، اليس
كذلك يا احد ؟

— بل كانوا يسعون لاكثر من
شيء .. لاشياء سيخلقها هذا الماء
.. وليس ذنبهم ان خيبت امالهم ..
ولكنهم سينظرون حتى ينتصر هذا
الشيء الجديد القديم الذي يعمر
نفوسهم .

ويطم ابو سعيد شفثيه : لا على
انتم وما تشتهون ..

— نعم نحن وما نشتهي .. لن
نخضع مرة ثانية .. سنجلب الماء
بأيدينا ..

ويصفق الطفل .. ومن بعيد يطل
شراع ابيض ... دائما هناك شيء
جديد ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakriri.com

هل الثقافة خطر على الأديب (بقيّة)

التي يطلب ان ترسل اليه لا بد ان يمتلكه العجب وتستولي عليه الدهشة حيال هذا الجشع الثقافي المطرد الى ما لا نهاية .

واكرر ظني ان طوح العبقري للامام بكل شيء واملاك كل شيء والتعبير ان امكن عن كل شيء ، هو الذي يبعث فيه ذلك القرب من جنون الثقافة الذي نفتن به ونبهت له . على ان جنون الثقافة هذا هو بمثابة لهُو ملكي تبشره العبقرية في كثير من الحب وشيء غير قليل من عدم الاكتراث ، هو عارض من اعراضها - عارض قد يحدث فيها تأثيرا كبيرا ولكن جوهرها - برغم التأثير - يظل حيا بنفسه مستقلا بخصائصه تتبع منه القوى لتصب فيه .

وخلاصة القول انه ليس من الضروري ان يكون الاديب عالما ليستطيع ابتكار ادب مصطبغ بصبغة العلم ، اي بصبغة الملاحظة والتجربة والحقيقة والصدق .

ولكن الاقبال على دراسة العلم ومختلف فروع الثقافة من شأنه ان يطهر عقل كل اديب من جرائيم الخيال الزائف ، ويذنيه من الحقائق الواضحة . ويحكم الصلة بينه وبين الحياة الدنيا ، ويوسع دائرة تفكيره ، ويفتح لمواهبه آفاقا جديدة ، ويضعه تجاه مشاكل عصره ويرغمه على الحياة في هذا العصر ، ويسقل ملكاته ويحجها ، ويساعده في النهاية على اكتشاف نفسه وتوكيد شخصيته المستقلة .

والمهم ان يفهم الاديب ان كلمة « ثقافة » معناها الحرية - الحرية في البحث والتشكك والجدل والمراجعة والانتقاع . وان هذه الحرية هي التي يجب ان تسود عقله تجاه شتى الوان الثقافة كي لا يستبد لها ولا يطبع انتاجه الادبي بلون معين من الوانها . ومتى كان قوى الخلق ، قوى الإرادة ، قوى الشخصية ، فلن تلحق الثقافة بملكاته الفنية اي اذى بل على النقيض ترونها وتنشها وترعها كما حدث لفولتر ونيثشه وتولستوى وغيرهم من كبار رجال الادب والفكر .

وليست المبرة في ان يكون كل اديب تولستوى او فولتر بل المبرة كل المبرة في ان يروض كل اديب نفسه على الحرية ويفرس كل اديب في احساسه نزعة الاستقلال ثم يقدم على التنفّغ غير هباب .

وبما كانت درجة مواهبه بل مهما كان متوسطا او عاديا فلا بد ان يبعد اذ ذلك عملا مستقلا طريفا يغيذه الفكر وتضيئه المعرفة وتبد الثقافة بروحها المزنة العاقلة التي هي خلاصة اجيال طويلة من جهاد البشرية .

ما كان لونها اشد ضررا بالادب والفكر معا . ان قيمة الانسان هي في بحثه عن حقيقة نفسه . وقيمة الاديب هي في عثوره على هذه الحقيقة وقدرته على التعبير عنها .

ومن حول ان يتم ذلك بدون معرفة حقائق الغير وتلك هي الثقافة بمعناها الواسع ، ولقد ادرك ذلك كبار المفكرين والادباء فكانوا اكمل الناس ثقافة واغزهم اطلاعا واجمعهم لشتى المناقضات التي تلازم العقل الخارق الفذ : اي الاستقلال في الرأي مع التواضع للعلم ، والاعتداد بالنفس مع التأهب لسماع آراء الغير ، والشعور بكبرياء النبوغ مع الاحساس الدائم بنقص قوى العقل . ولذلك اعموا في التنفّغ اعماما مروعا .

ان ذهن فولتر كان دائرة معارفية . وعقل نيثشه ولع بالثقافات جميعا . وادراك تولستوي الساذج البسيط في ظاهره حل من مخلفات الفكر البشري ما قد ترزح تحته عقول كتاب الشرق جميعا . اما دستوفيسكي فبن بطالع حكاياته ويلحظ اساء الكتب

دولة الكويت
وزارة التربية
(التعليم العالي)
اعمال

بشأن تحديد مواعيد قبول طلبة الالتحاق بالكلية الجامعية

تعن كلية العلوم والادب والتربية وكلية البنات الجامعية

انه سينتهي موعد قبول طلبة الالتحاق بكل من الكليتين ،

بالنسبة للطلاب الكويتيين الحاصلين على شهادة الدراسة

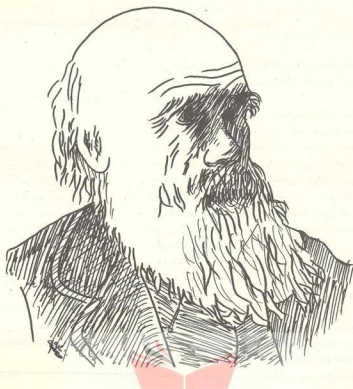
الثانوية في الدور الاول او من السنوات السابقة وغيرهم من

ذي المؤهلات المعادلة ، في ٢١/٧/١٩٦٦ .

وسوف يعاد فتح باب قبول الطلاب بالنسبة لطلاب الدور

الثاني والمتخلفين عن التقدم في الفترة الاولى ، اعتبارا من

٢٠ سبتمبر سنة ١٩٦٦ حتى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٦٦ .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دارین

صاحب کتابی "اصل الأُمناس"
و "أصل الإنسان"

اعداد فاروق زارة

داروين ، طبيب وعالم طبيعي واحيانا شاعر .. وهو مؤلف كتاب « زونوميا » اي علم وظائف الحيوان .. وقد حاول ارازموس في هذا الكتاب ان يبحث نظرية المرض .. وجاء فيه ايضا تليخ خطير .. اذ قال « **امن الجراحة الزائدة ان نتخلل ان حيوانا لبونا قد نشأ، خلال الحقب الطويلة منذ وجدت الارض ، وقبل ان يبدأ تاريخ البشرية ، قد نشأ من خلية واحدة . ؟** »

ولكن احدا لم يلتفت الى هذه الفكرة .. مع ان الكتاب بحث مرات ومرات عديدة ، وقد حضر داروين في صباه كثيرا من هذا النقاش الذي تناول كتاب جده .. والوالدة داروين ، هي ابنة صانع للفخار شهير ، قد وافاها الاجل عندما بلغ شارل الثامنة من عمره .. كان من عادة والده ان يجمع ابناءه ليحدثهم عن اجداد جدهم .. كما كان يحدثهم في شتى الموضوعات .. وكان شارل يستمع بكل حواسه الى ما يقلى اليه .

كان شارل في صباه يهوى جمع الحصى والحشرات والنباتات ويبيض الطيور .. وكانت هذه الهوايات تقبل بالرفض والاستنكار الصارم من والده حيث ان لها اثرا سيئا على مستقبله الدراسي ، كما ازعج بذلك مدرسيه . وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره انصرف شارل الى الصيد والكلاب .. وصيد الفئران ، ولكنه لم يبد تقصيرا في دراسته .. وهنا رأى والده تأمينا لمستقبل ولديه ان يرسلهما الى جامعة ادنبرة لدراسة الطب .. ولكن شارل غادر صفوف الدراسة ولم يعقب، بعد ان حضر عملية جراحية اجريت لطفل .. ولم يكن المخدر بعد قد اكتشف .. فعانت نفسه الرقيقة الالم ، وفشل كذلك في تحقيق مستوى علمي في دراسة القانون .. فقرر والده دخوله سلك الكهنوت .. ووافق شارل الذي يكن لوالده بالغ الاحترام ، على هذا الراي ، ودخل جامعة كيريدج ليحصل على المؤهلات الضرورية للمنصب الجديد .. وفي حدائق الجامعة كان يسعد بمراقبة اسنان علم النبات في تجواله .. ودفعه ذلك الى دراسة التاريخ الطبيعي واعادة قراءة كتب جده .. وكتب العالم الطبيعي الفرنسي **لامارك** .

في هذه الايام كانت العقيدة السائدة في اوربوا والعالم المسيحي ان الخلق حدث فجأة .. وان الاجناس كلها وجدت معا وكان ذلك كما حدده رئيس الاساقفة جيمس اوشير عام ١٨٠٤ قبل الميلاد ، وان الله خلق الانسان على مثاله ، وان طوفان نوح عليه السلام كان

المكان : **قاعة الجمعية البريطانية لتقدم العلوم بمدينة اكسفورد .**

الزمان : حزيران عام ١٨٦٠

سرى في قاعة المحاضرات همس مضطرب من ان صمويل ويلبرفورس ، اسقف المدينة سوف « يحطم » داروين عندما يصعد الى منصة الخطابة ليديلي براهيه حول كتاب داروين « **اصل الاجناس** » .

وكانت القاعة قد ضاقت بالحضور الذين بلغ عددهم نحواً من ٧٠٠ شخص عندما اتخذ الاسقف طريقته الى المنصة .. حيث انبرى بهاجم في خطابه كتاب «اصل الاجناس» وصاحبه **داروين** بكل ضراوة وثسدة ... وضمت نصف ساعة والهجوم ما زال مركزا .. وهنا وجه الاسقف كلامه الى **توماس هكسلي** الذي كان حاضرا الاجتماع .. (**وهكسلي العالم النباتي الشهير من اثمد مناصري داروين** ..) وصغعه بسؤاله قائلا : ليتفضل السيد هكسلي باخبارنا عن طريق من ينصل تنسبه بالقرود .. عن طريق جده ام جدته ؟ ..

وهمس هكسلي في اذن جاره : لقد تقذعه الله في يدي . ولما سمع العالم النباتي الى انصمة ليدافع عن زبله .. وبلغ ذروة خطبته وجه قوله للحضور مجيبا على سؤال الاسقف « انه لا يعبرني ان اكون من نسل قرد .. انما اشعر بالعار ان اكون من سلالة رجل غذ يدلع في المشاكل العلمية التي لا يعرف عنها شيئا » . وهنا ثار الحضور .. وارتفع الضجيج في القاعة .. ووقف قائد السفينة **بيجل** يصرخ ويلوح بالانجيل .. ويقول : **ان الانجيل ، لا ذلك اللئيم الذي كان ضمن ركاب سفينتي ، هو المرجع والقانون** .

جرى كل ذلك وداروين غائب عن الاجتماع .. ولكن كتابه كان قد اثار ضجة مدوية استهلكت عصر النزاع بين الدين والعلم ..

فمن هو داروين هذا ؟ وما هذا الكتاب الذي اثار كل هذا الصدى في ارجاء العالم ؟

في اليوم الذي ولد فيه الرئيس الاميركي **ابراهيم لتكولن** .. محرر العبيد في الولايات المتحدة .. ولد في بريطانيا طفل حرر الفكر من الجمود الذي فرضته الكنيسة . ففي الثاني عشر من فبراير ١٨٠٩ ولدت **شارل روبرت داروين** ، ولد في عائلة اشتهرت برجالها العلماء ، فوالده طبيب ماهر ، وجده الدكتور **ارازموس**

وكان شارل داروين يعجب من التشابه الكبير بين الحفريات في هذه المناطق ، وبين تلك التي وجدت في اسيا ، واعاد بظنه اسباب هذا التشابه بين هذـه الحيوانات المنحجرة الى ان حيوانات اسيا قد عبرت مضيق بيرنج من سيبيريا الى الاميركتين .

ومع الزمن ، بدت امام بصره حقيقة مذهلة ، وهي انه ليس هناك من حقيقة واضحة كل الوضوح عبر التاريخ لحقيقة الانقراض المتكرر ..

وعندما وصلت السفينة الى جزر النار بجنوب اميركا الجنوبية كان داروين يوجه اهتمامه ايضا الى دراسة تضاريس الارض .. وفيما كان مستلق على رمال الشاطئ اذ شعر بهزة قوية رجت لها الارض ، وعندما هدأت ، قام بقياس موضع كان اجري قياس ارتفاعه عن سطح الماء .. فوجد انه ارتفع مسافة ٢ اقدام ، وفي هذه الجزر عثر داروين على سلاطة بشرية بدائية تستطيع العيش فوق التلوج عارية .

وعندما انتقل الى جزر جالاباجوس عثر داروين على سلفختين تزن الواحدة منها ٢٠٠ رطل ، وانهما نوع غريب لا شبيه له في ارجاء اخرى من العالم .. كما عثر على انواع من الزواحف تاكد من دراسة امعائها انها تعتاش على نبات البحر .. وانها تتراد البحر .. وقام كذلك بدراسة ضخمة لطيور المنطقة ، تصنيفا وتبويباً وايجاد مميزات كل منها .. ودهش للاختلاف والتشابه بين حيوانات هذه الجزر مع استحالة الانتقال بينها .. كما تاكد ان هذه الجزر لم تكن في يوم من الايام على اتصال بالقارة .. او ببعضها البعض .

طوال هذه المدة كان داروين عظيم الاهتمام بتدوين مذكراته حتى بلغت مجلدات .. وكان عظيم الاهتمام بجمع النماذج من كل شيء وارسلها في صناديق الى

داره في بريطانيا .. لذلك ما ان حطت السفينة مراسنها في بريطانيا في الثاني من اكتوبر ١٨٣٦ م حتى اسرع داروين كالولهان الى صناديقه ، يقوم بترتيبها وتصنيفها . وعكف على تهذيب مذكراته لطبعها في كتاب عرف فيما بعد باسم « رحلة سفينة بيجل » .

وعكف على دراسة ما لديه من عينات جلبها من ذلك المكان الغاص بكل شيء .. وبدأ يلوح امام ناظره مخطط للكتاب .. اعتد على ثلاث حقائق كبيرة ..

واستنتاجين هامين ..

الحقيقة الاولى : ان جميع المخلوقات تختلف فيما

بينها ..

آخر تشكيل للمخلوقات وللارض .. وان الارض بقيت منذئذ سلى حالتها الى القرن التاسع عشر ..

في مثل هذا الظرف .. كان من الصعب قبول اية فكرة مخالفة تنسف التفسير الديني لهذه الايات من الاتجبل .. وكذلك شارل داروين لم تكن لديه اية رغبة في ان يفعل ذلك .. جل ما كان يسعى اليه ان يستطيع تقديم شيء هام في علم التاريخ الطبيعي .. يسطر اسمه في سجل الخالدين ..

والفرص خير معوان .. فقد دعي للمشاركة في رحلة علمية قامت بها السفينة « بيجل » برحلتها حول العالم .. فاسرع مليا بعد ان تمكن حماه من اقتناع والده بتحمل مصاريف هذه الرحلة لابنه .

وفي ٢٧ ديسمبر ١٨٣١ ابحرت السفينة البالغة حمولتها ٢٣٥ طنا من ميناء ديفونبورت .. وما غيرت مياه الامق خيال اليابسة حتى اصيب داروين بدوار البحر .. فلزم الفراش .. وهنا امتدت يده الى كتاب زوده به صديق يبحث في علم الجيولوجيا .. فدرسها دراسة والهة .

وما ان حطت السفينة مراسنها في ميناء برايا في جزر كيب غرند حتى هرع داروين للنزول الى الشاطئ .. ليمتع نظره لأول مرة بالنظر الى ارض استوائية .. ولفت بصره الحاد الى طبقة بيضاء امتدت اميالا في اعلى الهضبة المتاخمة لشاطيء البحر .. فصعد اليها يتحرق .. وكم دهش عندما رأى انها مكونة من الالف المصف البحري كتلك التي كان يجمعها على الشاطئ الرملى ، عجب من وجودها في هذا الارتفاع عن سطح الماء .. يبهذه الكثرة .. وساعده كتاب الجيولوجيا على تعليل ذلك .. وان هذه الطبقة كانت في يوم من الايام جزءا من قاع البحر ، وقد ارتفعت بفعل هزات ارضية عبر ملايين السنين .

وفيما كانت السفينة « بيجل » تعبر البحر الى البرازيل ، لقي داروين شبكة كبيرة في الماء يجمع بها السمك ويقوم بدراسته وتصنيفه انواعا ورتبا .. وفي مستنقعات الارجنطين عثر داروين وهو ينقب هناك على عظم حيوانات عديدة انقرضت من ملايين السنين .. وكلها من ذوات الاربعة .. وظهر له ان بعضا منها حيوانات مائية وعرف ذلك من موضع الانفذين والعينين والمنخرين في راس الحيوان .



والحقيقة الثانية : ان كل فصيلة من المخلوقات تتكاثر باطراد هندسي ..
والحقيقة الثالثة : انه مع هذا التكاثر فان كل فصيلة من الفصائل تحافظ على تعداد ثابت ..
واما الاستنتاجين : فالولهما — ان هناك تنازعا من اجل البقاء .
ونتيجهما — ان البقاء للأصلح في هذا التنازع .

وتأكد لديه ايضا ان هناك اختيارا طبيعيا يؤثر على اشكال وامكن وجود الحيوانات والنباتات .
وظهر كتابه الاول « اصل الانجاس » في الرابع والعشرين من نوفمبر ١٨٥٩ وبعد ذلك وضع داروين امام نفسه اربعة اسئلة اخرى هي :
١ — هل يختلف الانسان كما تختلف باقي الحيوانات ؟
٢ — هل يتكاثر بسرعة تضطره الى الكفاح من اجل البقاء ؟
٣ — هل هناك دلائل واشارات على جسده تدل على اصله ؟
٤ — هل من الممكن ان تكون مميزات العقلية والخلقية نتيجة للتشوء والارتقاء ؟

وسدر كتابه الجديد « اصل الانسان » في الرابع والعشرين من فبراير ١٨٧١ ، فكان له دوي هائل .. وليس ادل على ذلك مما كتبه صحيفة التايمز معلقة على الكتاب فقالت : « انه لمن المحزن ان يشر داروين الشك حول ما يمتحه الله للانسان من مقام في الخليقة .. في وقت تسلمت فيه حكومة شعبية في فرنسا .. وانتشرت افكار خطيرة في بريطانيا .. كاتحادات العمال .. وحق النساء المتزوجات في الاشراف على اموالهن .. ومطالبة بعض النسوة بحق التصويت .. وايضا وفي نفس الوقت الذي فتحت فيه جامعتي اكسفورد وكمبريدج بصراعيهما للجميع دون اعتبار ديني .. انه لظرف سيء يختاره داروين لوز اسس المجتمع والدولة .. »
ومع هذا الهجوم كان هناك مؤيدون ..
فما الذي فعله داروين ؟ ..

كل ما فعله داروين انه اشار الى ان الخلق كله والحياة كلها نبتت من بداية واحدة مجهولة ..
وقدم للعالم ، بعد مرور ثمانية عشر قرنا ونصف للميلاد ، فهما جديدا للحياة .. انشئت اثره في كل ميدان من ميادين الحياة الفكرية والعلمية .. والادبية ..
وبعد ، ان كتب داروين تعتبر الان من الكتب الكلاسيكية التي يجب على كل اديب مثقف الاطلاع عليها، وتعتبر من الكتب ذات الاهمية القصوى في تشكيل الفكر المعاصر ..

واجاب داروين على السؤالين الاولين في كتابه « اصل الانجاس » بدعم قوى من الادلة .. وقال ان تركيب الانسان الجسماني يسير طبقا لنشأته تركيب باقي الحيوانات اللبونة ..
وقال : انه لمن الغريب ان الانسان يجل في جسده بعض الاعضاء الرسوبية عبر الازمنة الغابرة .. وقد بطلت حاجته اليها الان .. مثل الزائدة .. وسن العقل .. والعصعوص (نهاية العمود الفقري) .
قال ايضا : ان الفرق بين الانسان وطبقات القردة العليا فرق شاسع . ولكنه لا يدعو ان يكون فرق حلقات مفقودة ..
وكان يزججه سؤال ملحاح كان يفترضه دوما ..
هناك حلقات مفقودة .. اين هي ؟ ولم لم يعثر على احداها بعد ؟

عندما وضع داروين كتابه الاول كانت نظرية الاختيار الطبيعي للتطور تهتك عليه امره .. ولكن هذه النظرية اعترضها الكثير من العوائق فتحول عنها الى نظرية جديدة فقال « انه يكاد يكون اكيدا ثابنا لدي انه اذا ما فضل بعض افراد الذكور او الاناث الاتصال الجنسي فقط بنوع من الاناث او الذكور على مدى الازمان .. فان نتاجهم ولا شك سوف يتطور تحسنا في بعض النواحي » . وبذلك قرر نظرية الاختيار الجنسي ..

عبد الله الفرج

بين

الفصحى والعامية

« ١ »

المعروف عن الشاعر عبدالله الفرج انه شاعر نبطي
ضخم ، ليس في بلده الكويت فحسب ، بل في الجزيرة
العربية كلها . وشهرته هذه جاءت عن طريق اشعاره
العامية الرائعة . وغالبية اهل الكويت وغيرهم ، لا
يعرفونه الا بها ، وفيهم من يحفظ جلها عن ظهر قلب ،
ولولا انها من القوة والروعة لما وصلت الى مستوى
الحفظ والتندر . وهو نفسه كان يحس بذلك حتى بلغ
به هذا الاحساس الى مرحلة الاعجاب ، فصار يشارك
قراء شعره اعجابهم به ، وقلما تخلو قصيدة من قصائده
من هذا الاعجاب . قال من قصيدة له :

ما احلى النظم المسطر كالمسعود
والسلام اللي كما الدر التضيد
كيف لا ومضنه مدح يكود
ما يجي به شاعر لو هو لبيد

وقال :

فلولا غرامي لك لله فلا
بدعت القوافي وصفت القصيد
ولا فहत منشد بشعر يعز
على الناس مثله ويعني لبيد
وقال ايضا والخطاب لصديقه الشاعر محمد بن فوزان:
يا من لجينه عننا كالشرايد

http://Archivebeta.Sakhr.it.com
هو ما درى اني من جفيت الوسائد
لي مقول يسعى على كيف ما ريد
وقال مخاطبا الشيخ قاسم بن ثاني حاكم قطر :
ذا قول من لا هو يعيل بمقاله
على الناس حتى لو عليه يمال
ايدب غدا يستعبد القيل مذعن
له التفر جند والنظام ارجال
الى قال ما خلى مقال لقاييل
والى ورد ما ورد السراب ولال

وقال ايضا من قصيدة يخاطب بها محمد بن فضل وهو
من شعراء البحرين :

قافضاك من عرض الربع بن سليم
يا ساج من خير الجهالة مديم
الشاعر اللي لو يبي يالفشيم
يمحنك ما تقدر تجيبه بجيفان (١)

واقواله في هذا الباب كثيرة لا مجال لذكرها ، وهو كثير

بقلم: عبد الله الحاتو

وبالعكس . والشاعر عبدالله الفرج ، مع ما له من يد
طولى في اللغة ومفرداتها ، ومع ما له من اطلاع واسع
في شتى فنون الأدب ، لم يستطع ان يقول قصيدة واحدة
في الفصحى يرضى عنها الناس كما ارتضوه في شعره
الدارج ، والناس عادة لا ترضى عن شاعر او غيره ،
وتجتمع كلمتهم حوله ، الا اذا كان اهلا لهذا الرضى .
وما اقل الذين يرضى عنهم الناس .

وربما هناك سبب آخر ، لا يختلف كثيرا عن
السبب الاول وهو ان الشاعر عبدالله الفرج ، كما هو
معروف عنه ، وكما يتبين لنا من شعره ، يحفظ لشعراء
النبط الشيء الكثير ، وله الملم واسع في هذا المجال ،
فحين الجأنا الى كون افكاره قد تشبعت بهذا اللون من
الشعر ، وثقبة اطلمات اليه فوقع تحت تأثيره .
والفريقة في مثل هذه الحالة تكون اكثر استعدادا في
هذا الاتجاه واقدر على التعبير والاداء ، ونحن الان مع
الشاعر في بعض اشعاره بالفصحى ، قال يمدح السيد
رجب نقيب اشراف البصرة :

سيفني الله عن فرج القريب
وياثي الله بالفرج القريب
ويشملنا بفضل منه حتى
يكون نصيبنا اوفى نصيب
يقول لي ابن ودي اذ رأني
اتوج بالننا هام النسيب
وانظم جـاهدا بالمدح درا
يروق كلؤلؤ النفر الشنيب
ابحت المدح حين عدلت عنه
اما منه حصلت على اللغوب
انهد من نبات الفكر ما قد
تقول بحسنها للشمس غيبي
الى من انت رقبا تجتليها
فقلت لها الى رجب النقيب

من الشعراء الذين يرون في شعرهم انهم قد بلغوا
الذروة فيه . فالمتنبى مثلا قال عن نفسه وقد ابداع :

وما الدهر الا من رواة قصائدي

اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

وقال ابن الحسن الحصري القيرواني :

غيلان (٢) الشعر قدامته

جرمي (٣) النحو مبرده (٤)

حاشا ادبي وسنا حسبي

من ذم كريم احمده

واقبل عذراء محبرة

لقظا كالدر منضده

لو ان جبيلا انشدها

في الحصى لذابت خمره

اهدت الشعر على شحط

ونذاك قريب مولده

ما اجود شعري في خيب

والشعر قليل جیده

وكما ان له اشعارا في اللغة الدارجة فان له
اشعارا في الفصحى ولكنها غير معروفة عند اكثر الناس
واشعاره في الفصحى ليست من القوة والاجادة ، وهي
خالية من الروح الشعاعية التي اعتدناها في شعره
الدارج . وما انصرافه الى الشعر العامي بكلية الا دليل
واضح على اخفاقه في التعبير عن مشاعره بالفصحى ،
وليس غريبا على هذا الشاعر او ذاك في مثل هذه
الحالة ، ان يبرع في ناحية ويخفق في اخرى والامثال على
هذا كثيرة ، فان من الشعراء من يجيد القول في ميدان
واحد من ميادين الشعر ، ويفشل فيها سواء ، كان
يبرع في الغزل او المدح او في الهجاء او الفخر وغير ذلك ،
وان اقرب مثال الى الذهن وايسره ، هو ما نلسمه
دائما بين المتحدثين ، فمنهم من نراه في العامية اقدر على
التحدث والتعبير منه في الفصحى ، مع علمه بها ،

نعى آل الزهير غدا الينا
 احب ، نراه من جمل المصالح
 قضى ليالي شهر الصوم نجيا
 من الاعمال زور كـل صالح
 مضى فيها الى النعمى فارخ
 (مضى فيها الى العلياء صالح)
 وقال مؤرخا وفاة قاضي الكويت الشيخ خالد العدساتي
 رحمه الله سنة ١٢١٨ هـ :

وقلت لما ان مضى ارخوا
 (دعتهم جنان لاجل الخلود)
 وقال ايضا مؤرخا وفاة الشيخ محمد بن عبد اللطيف العبد
 الرزاق وهو من اعيان الكويتيين :

لوت محمد عفت المـعالي
 واصبح منه ثوب المجد بالي
 وقال مؤرخا وفاة تاسم باشا الزهير سنة ١٢٩٥ هـ :
 مضى حيث لا يثنيه صوت مؤرخ
 يناديه يا ضيفا على الله قادم

وقال مؤرخا بيتا بناه احمد بن ياسين (في ابي الخصيب)
 من نواحي البصرة سنة ١٣١٠ هـ وفي كل شطر من
 القصيدة تاريخ البناء :

رب فضل لـاحـمـد ليس يجـد ١٣١٠
 فابن ياسين عد يحمـد ١٣١٠
 بدر افق العـلـا سـرى يتسـامى ١٣١٠
 للفخار الحفي مع كل سؤدد ١٣١٠
 حـبـداً مـنـه في التـدى البر مولى ١٣١٠
 سـام حـلـما يـخـال في كل مشـهد ١٣١٠
 كـرم مـنـه عم خـلقـا فـجـلى ١٣١٠
 وجـه صـدق فـحـيث انـهم انـجـد ١٣١٠

قد اجزت لنا ايا عابد القا ١٣١٠
 در فاسـج بـحـد حـكـ والـجـد ١٣١٠
 ان بيتـا شـيـدته عن ايبـاد ١٣١٠

فهو زاه على الثريا مشيد ١٣١٠
 وقال مقرظا كتاب « الايات الينيات » للسيد عبدالوهاب
 ابن السيد احمد الموسوي النعشبندي ، وترى ايضا في كل
 شطر من القصيدة تاريخ تأليف الكتاب وهو سنة
 ١٣٠٧ هـ :

حي الكتاب بشفيات ١٣٠٧
 أي تجلت بينات ١٣٠٧
 آيات صدق ارسيت ١٣٠٧
 تاوي لحل المشكلات ١٣٠٧
 ونصوصهن تحبـرت ١٣٠٧
 ابدا تريـع مـعـنـفـات ١٣٠٧
 هن الشمسـوس بـضـوئـها ١٣٠٧
 حـزمت بـايات الـايات ١٣٠٧

الى الكرم الخضم الى المرجى
 الى الحصب التجيب الى النسيب
 الى من في علاه يشيد سجما
 لسان الحمد مثل العندليب
 زكي طاب اصلا ثم فرعا
 فكم وافى طبيب بعد طيب
 نشاهد في الرقاب له اباد
 ودرا ثابتا وسط القلوب
 نراه من الاذى عار نداه
 الا وهو البريء من العيوب
 لقد نبئت مروءته علينا
 كمثل النقش في الحجر الصليب
 لمعري انه لفتي كريم
 يرنج ذكره قلب الكتيب
 متى تنزل بـحه تنزل بـحر
 يرحب بالبعيد وبالقريب
 وروض من مكارمه موشى
 سقاه كل هطال سكوب
 فحيا الروض بالصوب الموالي
 ودر الفرع بالفضى للخصيب
 هنينا للقبابة حين الفت
 عصاها عند ذي الحصب النسيب

وقال وقد خرج الناس للاستسقاء والجو ملبد بالغيوم ،
 فلما شرع الابهام بالدعاء بدا الغيم بنجلي حتى اصحت
 السماء :

خرجنا لتستسقي بيوم تراكمت
 به المزن حتى غودر الصبح كالجنح
 تقدم شيخ ذو عصاة ولحية
 حكـت ذنب السـرحـان من كـانـب الصـبح
 فلما فرغنا من صلاة والدعاء
 شرعنا نسري الغيم اذ شح بالبح
 فعندنا معا والشيخ لم يدر اننا
 خرجنا لتستسقي به ام لتستحي

وهذه بضعة ابيات يؤرخ فيها وفاة الوجيه صالح الزهير ،
 وقد التزم فيها لزوم ما لا يلزم سنة ١٢٩٠ هـ :

بكيت على ابن عبدالله من لـي
 صديقـا كان في الدنيا مصـالـح

الى اخر القصيدة وهي عشرة ابيات .

وله عدا ذلك مجموعة من القصائد والمثنويات الشعرية التي يؤرخ بها بعض الحوادث ، وكلها على هذا النمط ، وكان في نية المرحوم خالد الفرج طبعها لتكون الجزء الثاني ، لان الجزء الاول طبع ، ويتضمن شعره العامي ، ولولا ان المنية عاجلته وحالت دون تحقيق هذه الفكرة ، وبقي الديوان عند ورثته عرضة للضياع ان لم يبادروا الى طبعه والانداد منه .

ونحن اذا قارنا بين اشعاره بالفصحى واشعاره بالعامية ، نجد ان الفرق واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ، ونرى انفسنا امام شاعرين لا شاعر واحد ، احدهما اسمه النازم عبدالله الفرج ، والاخر اسمه الشاعر عبدالله الفرج ، لا علاقة بينهما ، وان كانا يحملان نفس الاسم ونفس الشهرة ، وقد يظن البعض ان هذا القول لا يخرج عن كونه تحاملا على شعره الفصيح ، وتعصبا للعامية ، وهذا غاية في الخطأ والسطحية ، وان اي كاتب يحاول الكتابة عن هذا الشاعر في مثل هذه المقارنة ، لا اشك ابدا في انه سيجد نفسه امام شخصيتين مختلفتين في شخص واحد ، وانه ملزم بمثل ما التزمت به من رأي . والشعر كما قيل فكرة وابداع ، لا نظم وابداع .

وكما اوردت شيئا من شعره الفصيح فساورد ما تسمح به المناسبة من اشعاره في العامية ، قل في الغزل قصيدة :

يا ذا الحجام اللي على راس مياح
ياللي على روس الشواهيح ناحي
ردت العنا بالورق وابكيت مرتاح
وايقظت في نوحك غدول ولاحي
من لا بليت بصددOLF ولا فاح
مرجل غرامك من شبوب التلاحي
ان كان بالورق المشقى بالاصداح
ذا التوح طرب به وقصدك مناحي
ومرنحك تلوى مسابيح الانفراح
فلا نكرت بخير ميت ولا حي
وان كان تشكي قلة الصبر للصاح
وتلوب من فرقي حبيب معا حي
فانه يجابر بالهوى كل ملواح
مثلي ومثلك ما يروم المشاحي
اصبر على ما حمل والصبر مفتاح
يا الورق . ببيان الفرج والتجاح
والا الهوى ما لوم انا فيه من طاح
من شرب كاس الحب ما هو بصاحي

هذا وكم بالحب من عاشق ساح
مثلي ومثلك في جميع التواحي
يا ما على الخلان ناوحن الارياح
وبديت ما يبدي هزار الضواحي
ويا ما هطل دمع النظرين سفاح
واعتل من صفق المحاجر جناحي
واريت في قلب كبا وصف ملواح
ظام وتومي به كفوف التلاحي
من صد من له كما قرقف الراح
مطفي حرارات الشوايب ومياحي
لولا غرامه طرني طرة الحاح
ما نحت في ليلى وهمت بصاحي

وفي المدح ، من قصيدة يمدح بها محمد بن عبدالله الرشيد امير حائل :

ما حلا النظم المسطر كالعقود
والسلام اللي كما الدر القصيد
كيف لا ومضنه مدح يكون
ما يجي به شاعر لو هو لبيد
مدح شيخ مودع الدنيا مدود
سارت الركبان بانكاره تشيد
حيثه انسان الدهر عين الوجود
والتضار الجوهري المحض القريد
بدر تم شمس فضل بحر جود
وافر بالفيض طام بالمديد
ما خفي من طالعه نجم السعود
ولد عبدالله محمد بن رشيد
مميز قتلاء قوم كالا سود
باسمهم عند اللقا باس شديد
سل بني عتبه وسل عنه السعود
والخليفة قاطبه والبوسعيد
وانشد العربان قطان العود (٥)
يخبرونك عنه بالمعلم الوكيد
عن ربيع الضيف عن ريف الوقود
عن ذرا الملهوف عن ملجا الطريد

ومنها :

لو منال العز سهل ما يكون
شفتة من الناس في سودا لبيد (٦)
واستوى فيه السود والمسود
مير حائشا ما يصير العبد سيد
حق يا مبدئي القعائل بالتشهود
كل جري عند جريك ما يزيد
ومنها وهو اخر بيت فيها :
والسلام وخص به نفسك وجود
عقب هذا به على كل الرشيد

البقية على ص: ٦٢

قصيدة للجواهري تنشر لأول مرة

بقلم : لؤي طه الراوي

في شهر (اب) عام ١٩٥٩ زارني الشاعر محب مهدي الجواهري في مدينة فيينا عاصمة النمسا .. ولم تكن تلك الزيارة بالشيء العابر بالنسبة اليه ، لانه كان يتجنى تحقيق مثل هذه الزيارة منذ زمن بعيد ، ولذا فقد اثرت فيينا الجميلة في قريحة الشاعر ايما تأثير ، فراح ينظم الكثير من الابيات الشعرية المتفرقة ، التي كان يسهل على السامع حفظها بسرعة ، لان الشاعر كان يرتل الشعر ترتيلا ...

وكننت اصغي ، واصغى لذلك المعين الذي لا ينضب .. ثم قلت للجواهري دعنا نذهب الى ضاحية « نوسدورف » حيث هناك البيوت التي كان يسكن فيها الموسيقار المشهور لودفيج فان بيتهوفن ، وهي اصبحت فيها بعد حانات يقدم فيها النبيذ ، كذلك تعزف فيها اجيل الاطفال النمساوية .. وهنا اجابني الشاعر بقوله : يا روجي .. يا روجي ، انني ابحت عن هذه الاماكن التي قرأتها فيها نفس الشاعر ، فكان له ما يريد .. ثم ذهبا بسيارتي الخاصة الى تلك الضاحية المتناجزة ، ودخلنا البيت الذي سكن فيه بيتهوفن عام ١٨١٢ — ١٨١٧م ، وكانت موسيقى الفالس هناك تملأ مسامع الناس وهم يرشفون كؤوس النبيذ المعتق . وذكرني ذلك المنظر الخلاب بقول الحسن بن هانئ :

معتقة صاغ المزاج لراسها

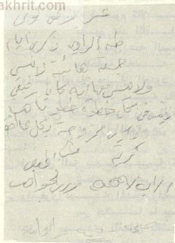
اكاليل در ما ناطقها سلك

جرت حركات الدهر فوق سكونها

فذابت كذوب التبر خلصه السبك

... ثم كان يمضي الزمان ، وكنا نشعر وكأن الكون قد غفل عن دورته .. وبعد ان غفلت بنا الموسيقى فعل السحر ، رحننا نجوب في ازقة (نوسدورف) الضيقة، حتى اشرفنا على الغابات والاحراش التي تحف بها من كل جانب .. وهنا توقف الجواهري هنيهة يتأمل مناظر العشاق وهم يترحنون ويتحدثون ، وكان هذا المشهد يبعث السعادة في النفوس .. فهاجت الذكريات في نفس الشاعر وراح يتغنى بهذه القصيدة التي لم تتم ، والتي قلما يجود بمثلها الزمن ...

وها هي ترى النور لأول مرة على صفحات البيان :



قصيدة وساخ

ورأى الشيخ خلال الغابة الدكاء اشباحا تلوح
بعضها يهصر بعضا

فتمنى لو يروح

ثم طافت صور ردتة كالهرة اسيان حيا
آه لو كان فتيا

آه لو ردت اليه آه مما فات شيئا
آه لو لم يعمل قويه من الشيب مسح
آه لو كان لذي قلب مع الشيب طموح
آه لو يستطيع للإزقام دفعا

آه لو كان لريماني الصبا يستطيع رجعا
آه لو كان لقطعماني بذات القفز مرعى

وتولت قدميه رجفة ثم تلوى ثم ألوى .. ثم أقعى
فراى آدم يلتف بجواء وتلفف عليه مثل أفعى

حام حق وأسلام غريرات تطيش
وانتفاضات شباب كالرؤى ... في هداة الليل تجيش
آه يا شيخ وكم تحسب ان سوف تعيش

آه لو امتدت يد خلف حجاب
تحذف النصف من الخمسين من عمر كمكذوب سراب
آه يا شيخ ومن يذنيك من عهد الشباب
اغلقت من دونه سود الليالي ألف باب
لا تحم كاللص مذعورا وكالوحش بلا ظفر وناب
انت لا تستطيع ان تقطف عنقودا تدلى بالعريش
ألف كف للشباب الحلو أولى منك في هذا الشراب
آه يا شيخ لو اسطعت رجوعا للشباب



بقلم: فرانكو يوسف شهاب

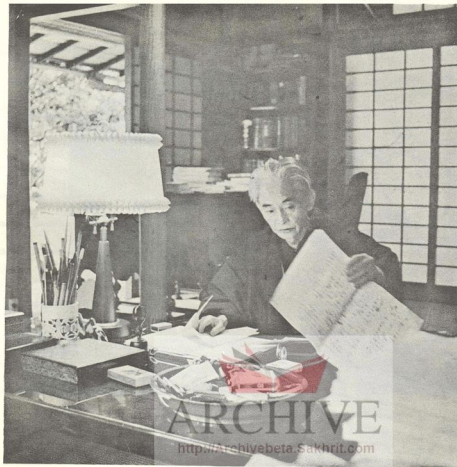
شاعر ياباني معاصر

قليل ما يسمع المثقفون خارج منطقة الشرق
الاقصى وجنوب اسيا الشرقي او يقرأون عن
 النهضة الادبية او عن الانطلاقة الشعرية في
اليابان ، اذ ظالما طغت الاخبار الصناعية
والاقتصادية وكذلك اخبار الانتصارات العلمية
على اخبار الادب والادباء .. ويعود ذلك الى
قلة المترجمين وضعف الصلات الثقافية عامة والى
صعوبة اللغة اليابانية واستقلال الفكر الادبي
الياباني بصورة خاصة .

ARCHIVE

ولكن القليل الذي ترجم الى اللغات الاخرى لاقى
قبولاً طويلاً ، وول على نهضة عارمة في ميدان الكلمة
والفكر لا ينقصها في سعيها نحو العالمية سوى مزيد
من التعريف ومزيد من الانظار ، وفي هذا المجال لمع
اسم الشاعر الياباني المعاصر « ياسوناري كاواباتا »
الذي يعتبر في طليعة رجال الادب اليابانيين وعلاقاً فذاً
في منطقة جنوب اسيا الشرقي كلها ، تلك هي منطقته
حيث نشأ وتربى ونبع اديبا وشاعرا مخضرمين .

اتى الشاعر كاواباتا الى هذا العالم قبل هذا
القرن بعام واحد ومات والداه والقرن العشرون في عايه
الاول ، فتمهده جده الذي توفي بدوره ، ولما يبلغ
كاواباتا عايه السادس عشر ، فعاش محروماً من حنان
الام وحزم الاب واضطرت ظروف الحياة لان يخسر
طفولته ويضحي بصباة لينمو بسرعة ويدخل معترك
الحياة والفكر مبكراً . واذا يؤرخ هو لنفسه يقول انه
استعاض بالكتب والمخطوطات عما كان يعوزه في صباة
فاتخذ منها الامل والاصدقاء والاقارب ، وما كان يتركها
الا ليعتني بجده المريض فيبادل العناية بالحكمة والخدمة
بالموعظة والحنان بخبرة حياة طويلة . اما النقاد
الادبيون فيتكلمون عنه بقولهم انه جمع من العلم والادب



الشاعر ياسوناري كاواباتا يراجع بعض مخطوطاته تهيئاً لنشرها

السباعية وعضو أكاديمية الفنون اليابانية .

كان كاواباتا في الحادية والعشرين من عمره عندما تخرج من جامعة طوكيو ونشر عمله الأدبي الأول الذي لاقى قبولا واستحسانا من عميد الأدب الياباني في ذلك الوقت . ثم حدثت كارثة دمار مدينة طوكيو بفعل الزلازل عام ١٩٢٣ ، التي كان من نتائجها اتساع الأفق الفكرية التي تتلمس الأحوال الشعبية وتتخذ منها مادة للانطلاق والتعبير . فشاعت الكتابات والمؤلفات الشعبية وأطنب الكتاب في الأعمال الأدبية البروليتارية،

والحنكة والدراية وهو صغير ما جعله صنوا لرجال الأدب المعروفين وهو بعد فتى ، ولكنه بالتالي ثما وقد ترسبت الانتمالية في نفسه ، فكان انزاليا في شعره ، ومتحفزا في افكاره الادبية وانطباعاته . واما اصداؤه فيعجبون بنشاطه العجيب . فقد اندفع الى الحياة شابا صغيرا ، ولما خرج من معتركها بالرغم من الاعوام السبعة والستين التي يحملها على كتفيه النحيبتين . فهو اليوم رئيس جمعية الادباء اليابانية ونائب رئيس جمعية الادباء العالمية وعضو لجنة السلام الدولية



ARCHIVE

خبرها ينعم به الاديب ساعات بين الكتب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الراقصة التي كانت تطوف احياء طوكيو وشواحيها في ذلك الوقت ، وقد أصبحت هذه الملحة الشعرية من اكثر الاعمال الادبية رواجاً في اليابان . ثم تلتبعته اعماله الادبية الرائعة واصبحت تأخذ طريقها الى الشعوب الاخرى مترجمة الى عدة لغات ، حتى ان احدى روائعه الشعرية ترجمت الى ثمانية لغات اوربية ، عدا عن ترجمتها الى اللغات الشرقية . وقد امله ذلك ليكون احد المرشحين لنيل جائزة نوبل في الادب عام ١٩٥٧ . ويذكر النقاد قول ياسوناري كاواباتا في احدى مقالاته بعد الحرب العالمية الثانية : « ... ان الشيء الوحيد الذي يمكنني عمله هو العودة الى اليابان القديمة اذ ان الاخلاق والمعادن الجديدة والحياة الاجتماعية التي يسمنونها بالحديثة فيها بعد الحرب لا تروق لي .. وبعبارة اخرى ، ان الواقع الذي نعيشه لا يغريني .. » .

ويعود الشاعر الى ادبه وشعره فلا تكبله الاعتزالية الادبية او المحافظة الشعرية بل يعمل ويبدع وينتزع الاعجاب حتى من المحدثين ومن الشبان الياثمين ..

بشكل واسع عم مختلف النشاطات الادبية اليابانية . ولم ينحرف كاواباتا مع هذا التيار بل الف وجماعة من اصحابه رابطة ادبية سموها « جمعية الفكر الجديد » ونشط اعضاؤها الشبان في العمل على المحافظة على القيم الادبية التقليدية والروح الادبية التي كانوا يعتبرونها اصيلة واثين من ان يخشى بها . وكان سلاحهم في ذلك متابعة التطور بالاساليب الحديثة للمحافظة على القيم والمفاهيم الكلاسيكية المحافظة ، وكانوا جميعا يبدعون في استنباط وابتكار الطرق الجديدة للتعبير والاعجاب . وقد مكثهم ذلك من ان يعطوا تأثيراً قويا في المحافظة على التراث القديم وفي رسم الحركة الادبية المزنة في اليابان . ويبقى كاواباتا اليوم الحي الوحيد من اعضاء تلك الجمعية النشيطة .

اما اعماله الادبية والشعرية المعروفة فبدأت عام ١٩٢٥ حين نشر « مذكرات شاب في السادسة عشرة » ، والتي اتبعها عام ١٩٢٦ برائعه الشعرية « راقصة الايزو » ، وهي تروى بأسلوب رائع حياة الفرق

مُهملة الحروف

لا رعى الله كل محروم أو حـلـود
 ما علاك اليوم والله الـودود
 حطط الملاك حماله العهد
 حامد المحمود ما حله حـود
 حوله حذر العهد حول الوعود
 كلهم حلوا وهم وسط اللـود
 المنور حوفا ماله ورود
 صبار سماع الصدا حول الخـود
 حللوا أو حرموا حمر وسود
 وأزحلوا وأرسوهم عند اـعود
 لو أوى للظود سواء امـهود
 رده للرد رداد السـود
 ما على دوار داره حـطـع عود
 عود الله كـل عدال مـود
 حذرك حذار ما هو للصـود
 حملوك الصـد ما أمرك لنود
 لو علا عوده مرده للصـود
 الله أرحم لا سهـود أولا مهـود

حل ما حلل واكل ما هو حلال
 حرم المحروم لوسطال السـوال
 مالك الاملاك ما ملكه همـال
 احمد الله واسأله طالع هـلال
 كم سلوم الواصل احواله محـال
 راحوا احكام اوردوا لـلاكـال
 حافظ ما حال اطلال الحـلال
 لو سمع رحم الخصا ماله وصال
 حرروا احكامهم أـلـوا أوال
 هملوا همافهم سـمـر الطـلال
 الاله احكم وماله كل مال
 دغ حمام صاح لوح للوـحال
 محملك لو صد ولمه لك وـحال
 عود عود الخـال لا عود الدلال
 افوى لو حملك حمل العدال
 مد وصل السـود وارد كل لال
 لام لام الله ما كـدر أو طال
 ما ارى كـود الرحـم لا هو ملال

للشاعر : عبد الله عبدالعزيز الدويش

الملا ما هم على حالك احوال
الكرم لعل الكرم دل اودلال
السلام امودعه روس اطلوال
ماسك حد الوصل وارسل ارسال
والعمر لو طال لك وادعائك عال
ما حماك أو ساعدك كود الحكال
الدهر كمر اوسواها اسحبال
سوره سور الخما وما خط مال
ما على المكور لو أمره امال
أهلك الملحد أو طوع كل وال
الورى لو هم سغوا ما هم امال
طالما طار الكرى وانهم حال
كلما عاد الوصل واكمل كمال
ما على الله كاد لو اعلا معال
واحد ماله على حكمه موال
ما الى الله الصمد موحد اوسال
دام حكمه للملا والكل هال
الدعا والمدعا عند الرمال

امرهم لله علام السدود
والردى لعل الردى ما هو امود
حامل الدعوى عاها للركود
الولع ما حده كل امحود
هو مرده للودر دود لـسدود
لو على احملك على كل الحنود
ما أرى الموحل على حمل الاسود
المروور امروها صد اورعود
الاله اعلم أو علمك الورود
مالك الله سالم الا وكعود
صنر اعمالك ولو ساد المسود
ما اروم احمل على الساعد واعود
الدهر حوط سدوده والعمود
ها الملا كلهها الله الوجود
طوع المالك وسهل للودود
أسأله طول المسدا واهو المنود
ما عبد الطاعة الى مولاك عود
وعد ما طاح الوسم حول السدود

جولة في المجدات الأدبية والفكرية في العالم العربي

اعداد : صلاح المد

فسرعه اصلا مسرح ذهني كما نعرف ، يعتمد على الحوار الذهني اكثر كثيرا من اعتماده على الاحداث والحركة المسرحية والمقتدة والحل .. لكنها احداث فكرية في الاغلب الاعم يشيرها الفنان في داخله .. لكن لو انه كان يوجد مسرح دائري مثل تلك المسارح الموجودة في نيويورك وغيرها من العواصم الكبرى .. حيث اخرجت مثلا مسرحية ارثر ميلر « بعمد السقوط » التي تدور الاحداث كلها اصلا في داخل عقل فرد واحد يجلس في مقدمة المسرح .. يحكي .. ويتكلم الشؤء والمسرح الدائر بالباطي ؟ .. سؤال نرجو ان نرجع اليه بعد ان ينهي نشر السرواية .

واذا كان المحق الادبي للاهرام قد بدا ينشر هذه التجربة الجديدة ، فقد انتهت مجلة الكاتب من نشر رواية « الاخوة الاعداء » لنيكوس كازانتزاكي اليوناني الفائز بجائزة نوبل ، والذي كتب ثلاثا من ارق الاغنيات هي « زوربا اليوناني » وقد انتجتها السينما الامريكية في فيلم ممتاز قام ببطولته الممثل القدير انتوني كوين وقد ترجمت الرواية في بيروت ونشرتها دار الاداب .. وهناك ايضا « المسيح يعاد صلبه » ، وهي عمل ممتاز لم يترجم بعد للعربية حتى الان ، وتقوم حاليا الانسة فورتنيه ناشد بترجمتها للعربية هذه الايام .. ثم روايته هذه التي انتهت نشرها اخيرا في مجلة الكاتب « الاخوة الاعداء » . والاخوة الاعداء هم مواطنو اليونان الذين فترقتهم الحرب الاهلية سنة ١٩٤٥ فانتقسموا الى قسمين .. رجالات البيريهات السود ورجال البيريهات

ارادا الخلوة ؟ لا بـد اذن من البحث عن مكان لائق .. ولعنة الله على معارفه الخثالة ومستواهم الواطي .. ليس فيهم من اولئك الذين يملكون السيارة والجارسونيريه ! وتلفتت فاطمة حولها كمن ازعجه تيار باراد في الظهر من نظرات الجالسين على الموائد .. وفهم شعبان فقال مؤبدا لما لم نقله : فعلا .. مكان مكشوف غير مناسب » .

هنا تنقطع الاحداث الروائية ليكمل سر روايته هكذا :

(المظر الثاني) :
فهرزت راسها بالاجاب وتحركت للانصراف وهي تقول له بانفساسه بشجعة : اتصل بي غدا بالظنون .
(شعبان يدخل على ادم في مكتبه دخول القاطنين)
شعبان هاتنا .. وشطنا ..

ادم : الى الهدف !
ادم : اي هدف ؟
شعبان : فاطمة هاتم .. انا الان على عتبة النجاح .. غدا بانن الله ييدا الهجوم الكبير .
ادم : لعنة الله عليك .

وهكذا تسير الاحداث .. اجترارات داخلية وذكريات ، الى تجيء اللحظة المسرحية فتنفذ مسرحيا .. وفي الحقيقة فهذه التجربة مطب طريف يوقتنا فيه توفيق الحكيم فمادنا لو اراد مسرحي ان ينفذها على المسرح .. من الصعب جدا تنفيذ مثل هذا العمل على المسرح ولا ادري اذا كان توفيق الحكيم قد فكر في هذا الوقت ام لا . خاصة وان توفيق الحكيم ليس الكاتب المرتقن الذي نقلته تلك هذه الاسئلة العملية ،

لعل اهم حديث بين المثقفين في القاهرة هذه الايام هي التجربة التي اقدم عليها توفيق الحكيم اخيرا باصداره روايته او مسرحيته .. لا احد يدري بالضبط اين نصفها .. المسماة « بنك القلق » ، وفيها يعقد توفيق الحكيم زواجا بين الرواية والمسرحية كما يقول ، فيسمي تجربته « المسرحية » والاسم جديد تماما ، وهو مركب من التصف الاول من كلمة مسرحية والتصف الثاني من كلمة رواية ، وهو شكل جديد تماما في الالاب العربي ان لم يكن في الالاب العالمية عموما .. صحيح انه سبق ان رأى العالم مجموعة من التجارب الفنية الجديدة مثل المسرح التجريبي في تشيكوسلوفاكيا ، والذي يعتمد على مجموعة شاشات عرض سينمائي يعرض عليها بعض المناظر بطريقة معينة ، وبين هذه الشاشات وامامها ، يتحرك ممثلون بهنئتي المهارة والدقة يقوموا بادوارهم المرتبطة بنفس الموضوع الدائر على الشاشات يختلط مع كل ذلك البلبه والموسيقى لتخرج اخيرا سيمفونية غريبة ورائعة معا .. لكن هذه التجربة هي تجربة ميكانيكية حرفية اولا واخيرا ، وليست ذهنية وهذا ما يفعله توفيق الحكيم هذه الايام . هو يبدا « مسروايته » كبداية اي رواية عادية الى لحظة تنمو فيها الاحداث بحيث يرى المؤلف ان الشكل الوحيد الذي ينفع الان هو الشكل المسرحي وعليه تنتهي الاحداث الروائية لبيدا منظرًا مسرحيًا .. مثلا هكذا :

« وادرك شعبان صواب الملاحظة ، حقا اين يجتمع بها اذا

الحر .. يقف بينهما راعي كنيسة عجوز ، هو الاب باتاروس .. كثيرا ما سأل المسيح أين يقف .. الى جانب السود ام الى جانب الحر ؟ ام انه يرضيه ان يظل ابناءه هكذا يقتتلون ؟ واذا كان ، فهل يرضيه ان يملأ الدم الارض ؟ .. من الظالم ومن المظلوم ؟ ويقلق الرجل .. بل يموت في كل يوم من اجل ان يعرف أين يقف المسيح ، واخيرا يتحرك الرجل باسم المسيح لكن تذهله النتائج .. فالدم يملأ الارض باسم العدالة .

« وجر نفسه في هدوء وسط الجثث وغمس يده في الدم ومسحها عندي لحينه فاصبحت حبراء تهايا ، ثم اغترفي في راحة يده لها اراقه على راسه وهو يقول منتحبا :

« دهمك .. ! ليقع على راسي يا ابنائي .. انا الذي قتلتكم .. »
واحاط به الانتصار يضحكون ، وصاح :

« اني ذاهب .. سافعل ما قلت .. ساذهب من قرية لقرية اصبح : « يا اخوتي لا تصعدوا الجبل .. ولا تصعدوا السود لكن تصالحوا انتم » فلا بد لكل قرية من مجنون وسامع ان هذا المجنون .. جنون اليونان الذي يصيح ..»

ثم يقول ايضا موجها خطابه للمسيح بعد ان خذله :

« لو بقيت على قيد الحياة ، لو تركني هؤلاء حيا ، اقسم الا اصليك ابدا .. لن اتركك ابدا ايها الرب في ايدي عنيا وقيافا .. لقد قلت « انا احمل سيفا » فابن هو ؟ حتى متى تظل تصلب ؟ يكفي هذا .. تسلم واحبط الى الارض ، لقد فهمت اخيرا واجب الانسان بعد كثير من الالام والدماء .. اينها الفضيلة تسلمي ، ايها المسيح تسلمي ، اتي ساعلن الانجيل الجديد ، في كل مكان ، انجيل السلاح » .

ولهذا يموت الاب باتاروس بطلقة في صدره .
ولقد كان هذا الرجل نيكوس

كان انتزاعي ماثرا لاساؤلات كثيرة اخيرا عن اي المذاهب الفنية ينتمي اليها .. فجاوبه مارسيل الفيلسوف الوجودي الفرنسي قال عنه انه وجودي بينما قال اخرون في الفاعرة انه يساري ، اما هو شخصا فلا يقول شيئا .. زورا مثلا يرقص ، يعني ، يعمل ، يحب النساء ، يلثم الحياة اما الاب باتاروس فهو يرفع صليبه ضد العالم اجمع .. عالم القتل والكذب والخديعة .

واذا كان نيكوس كان انتزاعي ماثرا جدل هذه الايام فمن الطريف ايضا ان يكتب جان بول سارتر عن « الوعي الطبقي عند فلوير » في مجلة الطليعة وهو مقال مترجم من مجلة « الازمنة الحديثة » التي اسمها سارتر ، وذلك حسب اتفاق تم بين المجلتيين . وكلنا سمع عن مدام بوفاري والتقسية التي رفعت ضد جوستاف فلوير (١٨٢١ - ١٨٨٠) لانهما باللااخلاقية والاباحية وما زالت الرواية متنوعة في كثير من بلاد العالم حتى الان على هذا الاساس .. كل هذا قد يكون معروفا اما ان يتحدث سارتر في مقالته عن الوعي الطبقي عند فلوير ، فهذا هو الجذبي لخاصة في الموضوع .. لكننا في

يطول عجينا كثيرا عندما يتناول سارتر الظروف التاريخية التي عاش فيها جوستاف فلوير ، وطبيعة النشأة البرجوازية التي نشأها بحكم انتمائها اليها ، فقد كان والده طبيا ، يضاف الى كل ذلك الثورات التي اجهضت ، والاحلام الموهشة التي عانهاها الشعراء والفلاسفة في هذه الفترة .. ويقول سارتر ان فلوير لم يكن ليستطيع الا ان يكون برجوازيا .. في هذه الفترة كان النبلاء الانتقاميون يهزمون امام جحافل البرجوازية التي انتصرت انتصارها الشهيرين في عام ١٨٤٨ بجيء نابليون الثالث ، وفي سنة ١٨٧١ بسقوط الكوميون في باريس ، ولان كل الادب في هذه الفترة لم يكن يعبر الا عن انطباعات

الشعراء والفنانين في هذه الفترة ، واهم هذا الانتاج الذي تائر به فلوير تائرا واضحا المعالم هو رواية شاترتون لفني الذي يقول عنه سارتر انه (شاترتون) برجوازي في حقيقته بالرغم من كل شيء ، ولذلك يقول فلوير عن نفسه « انا لست الا برجوازيا اعيش معتزلا في الريف مهتما بالادب » ..

وبما اننا نتحدث عن الفكر الفلسفي لفلوير وبما اننا ايضا في شهر يوليو فلا بد من ان نشير الى مجلة الفكر المعاصر التي يرأس تحريرها الدكتور زكي نجيب محمود حيث نشرت المجلة بمناسبة اعياد ثورة يوليو مجموعة من المقالات وجعلتها كلها تدور هذه المرة بالذات عن « المحلية والعالمية » وذلك في الادب والموسيقى ، بل وكل انواع الانتاج الفني ، ويسهم رئيس التحرير بنفسه في البحث فينشر موضوعا بعنوانه « الفرد والمواطن والانسان » يلخصه هو شخصا في المقال الانتقاضي كما يلي : « ان المحلية امر لا مفر منه لاي انسان ، ما دام الانسان كائنا ما يرتبط حتما بهكاته وزمانه .. لكن هذا الكائن الانساني ورغم تنقيده بالظروف التي تجعل منه فردا متميزا ، هو في الوقت نفسه ذو علاقات تربطه بسواه ، لا على سبيل الفرض الذي قد يحدث او لا يحدث ، بل على سبيل الضرورة والحكم ، لان كيان الفرد « علاقات » رابطة بينه وبين ما يحيط به من كائنات اخرى .. لكن هذه العلاقات قد تجيء مثيرة لاهتمام الناس ، من حيث القيم التي تبني عليها ركائز حياتهم الخاصة والعامة على السواء وعندئذ يصبح ما يقول الفرد ، او ما يفعله ، « انساني » تماما ، الى جانب كونه محليا وفرديا ، فالاساس الذي يجعل من العمل كائنا ما كان ، عملا عاليا هو قدرته على ان يمس فطرة الانسان من حيث هو انسان يجاوز حدود المكان وقيود الزمان » .

عبد الله الفرج (بقية)

وما اشبه هذا البيت بيتين للشاعر فواز السهل :
السلام وبعد مردود السلام
كيف حالك يا امام المسلمين
المعونة والعوافي لك خصوص
وان فضل شيء فهو للسامعين
وفي الرثاء قال في احد اقاربه :

الله من خطب دهانا بالابكار
ادعى القلوب تشب فيها السعير
ما راد فيه الموت منا ولا اختار
كود الذي له منزل بالضمائر
اللي بنا وده وهو غافل قار
وسط الضمائر عاليات التاير
يا موت حسبك من تسقيه الابرار
كاسات ليميات تفتت المراير
واريت لي فيما مضى خبسة اقمار
واليوم هذا السات باقي الذخير
مرحوم يا نساو قبل وقت الاسحار
اودع ضحى يوم الخميس الحفاير
جيتة وهو في حالة النزاع محتار
وغشيت من شفت النفس منه ناير

مدد الى ركن من البين منه بيار
لاو على الروح العريزة وحاير
ما هوب من كار المحبين في كار
نفس تقطعها سيوف طراير
يا عين هلي ساكب الدمع مدرار
وابكي حبيب ما جنبك الخساير
تحت اللحد وبين ملثك الاحجار
في ذمة المولى رهين القبائير
امسيت اقول من الواحشات للدار
ما كن بسك وقف خنين العذاير
منازل عادت لفقده كالاقتار
من شافهن كبرت عليه الصفاير
ما كن من عقيقه على الدار ديار
اقول سوى البين فيها العباير
اشوف بك يا دار من طاح ما ثار
منا ولا ادري ذا على ويش صاير
ليت الكسير الى ثوى فيك بنزار
ويجي من يربط لكسره جباير
عزالنا بالعون يا دار الاخباير
راحت علينا فيك مثل الكساير

صبر جويل مير انا اقول تذكار
عزا لمن دارت عليه الدواير
من ذا الذي عقيق نزوره الى زار
ونشوف زوله بين ذيك الحضاير
مانسك انا والله مانسك تكرر
ما غنت الورقا بروس الزباير
حتى اشرب الكاس الذي ذقت واشتار
منك الملاقا يوم تبلى السراير
ليت التايا نهنهن عنك مقدار
ما تستهل من الصدور العباير
وقال في شكوى الزمان :

يا دار ضيقتي على المسالك
ويش الذي حدك على ذاك واغراك
تلومني بعقوقها قلت ممالك
يا دار ترميني بالمعقوق وش جاك
لاعنك منك وبين اهالك سالك
ما هو خفي ذاك شانك وملفك
الجور والبهتان هو راس مالك
هناك هو ثوبك وهذا هو رداك
اقول ما قصت يمينك شمالك
الا اعلى تضيع دينك ودينك
تسوين بالمحسن وذا من هبالك
من حيث بالمسوى تسدين حسناك
اشوف غيري ما نفثه افعالك
الا ولا توذى لثلكه كحاياك
منا القلاب محسوب ثقل من عيالك
ايضا ولا كني تريبك بحماك
كني حريب لك وذابح رجالك
دار الكبر ويلاه عادي معاذك
كله لحبي لك وحامل دلالك
واقول الى قمتي تفلن ما اغلاك
وانتي معاذ ما تدبرين بالك
يمي ولا تدبرين لسي طيب ملقاك
اطلب من المولى مفلك الفلاك
واحد واسلي عن مفاتيك وانسك
هذا جزا مثلك وغيرك بدالك
والحمد لله ما تعاشرت وياك
(يتبع في العدد المقبل)

(١) جيفان : القوافي

(٢) غيلان ذو الرمة الشاعر وهو من عشاق العرب .

(٣) جرمي : هو ابو عمر صالح بن اسحق الجرمي الحوي

(٤) مبردة : هو ابو العباس صاحب كتاب المبردة

(٥) العمود : مياه الاسرار العذبة

(٦) سودايب : غابة القاس